تمموا خلاصكم

المؤلف: القمص زكريا بطرس
الناشر: www.fatherzakaria.com

بمعونة الروح القدس قد قمت بكتابة هذا الكتاب الذي بين يديك عام ١٩٦٤ وهو الجزء الثاني من سلسلة مكونة من ثلاثة أجزاء صدر الجزء الأول منها في عام ١٩٦٥، وشاءت حكمة الله أن يتأخر صدور هذا الجزء الثاني حتى اليوم.

وقد شرعت في الكتابة بعد أن دبر لي الرب أن أحصل على مجموعة أقوال الآباء القديسين في القرون الأولى والمعروفة باسم

[NICENE, POST NICENE AND ANTE NICENE FATHERS]

وتضم هذه المجموعة أقوال وكتابات آباء الكنيسة في القرون الأولي، وقد ساعدني الرب في الانكباب على الدراسة فيها، وكنت في الواقع أبحث عن خلاص نفسي حتى أرضي الرب في حياتي ، وكان هذا الكتاب هو النتيجة الفعلية لتلك الأبحاث.

ولقد قد انتفعت كثيرا جدا بكتابات قداسة البابا الطوباوي الأنبا شنوده الثالث في هذا المجال أبقاه لنا الرب أزمنة مديدة ونفعنا بصلواته المستجابة.
وإني أتشرف بأن أقدم هذا البحث لأحبائي راجيا صلواتهم من أجل ضعفي.

والواقع أن الثلاثة أجزاء تعالج موضوعا هاما في حياتنا الروحية وفق تعاليم كنيستنا القبطية الأرثوذكسية وهو خلاص نفوسنا. وقد وضحت في الجزء الأول (صنعت خلاصاً) كيف يتمتع المؤمن بخلاص نفسه في الأسرار المقدسة بالإيمان الحي العامل بالمحبة، وعليه أن يعطي للرب يسوع الساكن فيه المجال لكي يعمل فيه ومن خلاله.
وفي هذا الجزء الثاني (تمموا خلاصكم) أقدم للقارئ كيف يتمم خلاصه بخوف ورعدة.وسوف يشمل الحديث عن:

١- خطورة الارتداد. ٢- حتمية الجهاد. ٣- ضرورة التدريبات.

أما موضوع الجزء الثالث فهو عن (رجاء الخلاص) خلاص المؤمن من جسد الخطية ليكون على صورة جسد مجد المسيح.

وسوف يجد القارئ اقتباسات كثيرة من آيات الكتاب المقدس، ومن أقوال الآباء القديسين، كما سيجد الكثير من أقوال كبار البروتستانت. وقد أوردت هذه الأقوال حتى يتأكد القارئ بأن إيمان كنيستنا القبطية الأرثوذكسية الذي ينتقده بعض المحدثين من البروتستانت، ولست أدري لماذا؟ أقول سوف يتأكد القارئ أن إيماننا هو الإيمان الصحيح وقد شهد له كبار رجال الطوائف الأخرى.

من الرب أسأل أن يكون هذا الكتاب نافعا لكل من يقرأه، وأن يستخدمه الرب للبركة، بصلوات حضرة صاحب الغبطة القداسة البابا المعظم
الأنبا شنوده الثالث
بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية وسائر بلاد المهجر
حفظه الرب للكنيسة ذخرا معلما وقائداً لشعب المسيح في العالم أجمع.

المؤلف
القمص زكريا بطرس

إمكانية الارتداد الروحي

"انظروا أيها الأخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير بعدم إيمان في **الارتداد** عن الله الحي" (عب٣: ١٢).

الفصل الأول:- خطر الارتداد.
الفصل الثاني:- المؤمن والارتداد.
الفصل الثالث:- أسباب الارتداد.
الفصل الرابع:- تأديبات الارتداد.
الفصل الخامس:- علاج الارتداد.

تمهيد

إن مشكلة الارتداد مشكلة محيرة لكثير من المؤمنين، قد تذهب بسلامهم وتقلق نفوسهم. فبينما يريد المؤمن أن يعيش في القداسة يتعرض لسقوط مفاجئ يعكر حياته، ويشككه في خلاصه، وبينما هو يحيا بالإيمان تهاجمه عدة أسئلة حول مستقبله وهل يمكن أن يرتد ويهلك؟٠٠٠

ومن الجانب الآخر هناك أناس يدعون أنهم مؤمنون ويعيشون في حرية ولكنهم يأخذون من هذه الحرية فرصة للجسد (غل٥: ١٣) أوسترة للشر (١بط٢: ١٦) ويحولون نعمة إلهنا إلي الدعارة (يهوذا٤).

فإلي هؤلاء وأولئك نوجه الحديث التالي لنقف علي الحقائق الكتابية في هذا الصدد ويشمل:

+ خطر الارتداد
+ المؤمن والارتداد
+ أسباب الارتداد
+ تأديبات الارتداد
+ علاج الارتداد

الفصل الأول
خطر الارتداد

أولاً:- شهادة الكتاب المقدس
ثانياً:- شهادة أباء الكنيسة
ثالثاً:- شهادة مشاهير البروتستانت

مما لا شك فيه أن الطريق المؤدي إلي الحياة الأبدية محفوف بالأخطار وعلي السائر فيه أن يحذر منها حتى لا يرتد ويعرض نفسه للهلاك. ولتوضيح هذه الحقيقة نورد لك شهادة الكتاب وآباء الكنيسة ومشاهير البروتستانت حتى نعرف جليَّة الأمر.

أولاً: شهادة الكتاب المقدس

ماذا يقول الكتاب المقدس عن حقيقة الارتداد الروحي؟
دعنا نوضح ذلك بدءاً مما صرح به رب المجد يسوع.

١- من أقوال السيد المسيح:
+ عندما ضرب للسامعين مثل الزارع وضح نوعا من المؤمنين المعرضين للارتداد فقال "الذين علي الصخر هم الذين متي سمعوا يقبلون الكلمة بفرح وهؤلاء ليس لهم أصل **فيؤمنون إلي حين** وفي وقت التجربة **يرتدون**" (لو٨: ١٣)
+ وقد حذر مريض بيت حسدا الذي أبرأه من مرض الجسد والروح حذره من خطر الارتداد والهلاك بقوله : " ها أنت قد برئت. فلا تخطئ أيضا **لئلا يكون لك أشر.**" (يو٥:١٤)

+ وقد اكتفى السيد المسيح بأن يلفت أنظارنا إلى هلاك امرأة لوط بعد خلاصها من سدوم وعمورة لأن قلبها كان متعلقا بالخطية فقال "اذكروا امرأة لوط" (لو١٧:٣٢).

كم أخشى عليك يا أخى أن تكون مثل هذه المرأة، تتبع المسيح ولكن قلبك غير كامل نحوه بل تتبعه مظهرياً أما قلبك فلازال في سدوم الخطية وعمورة الآثام!!

٢- من أقوال بولس الرسول :

+ كما اتخذ السيد المسيح من امرأة لوط مثالا للتحذير، اتخذ بولس الرسول من إسرائيل مثالا آخر فقال:

"لست أريد أيها الاخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة، وجميعهم اجتازوا في البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم شربوا شرابا واحدا روحيا، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح. **لكن بأكثرهم لم يسر الله لأنهم طرحوا في القفر".**

ويستكمل معلمنا بولس كلامه قائلا: **"وهذه الأمور حدثت مثالا لنا حتى لا نكون مشتهين شرورا كما اشتهى أولئك.** فلا تكونوا **عبدة أوثان** كما كان أناس منهم فسقط في يوم واحد ثلاثة وعشرون ألفاً. **ولا تجربوا المسيح** كما جرب أيضا أناس منهم فأهلكتهم الحيات **ولا تتذمروا** كما تذمر أيضا أناس منهم فأهلكهم المهلك.

فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالا. **وكتبت لإنذارنا** نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور. **إذن من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط.** (١كو١٠:١-١٢)

ولعلك ترى الامتيازات التي عددها بولس الرسول إذ وضح أنهم:
كانوا تحت السحابة.
اجتازوا في البحر
اعتمدوا لموسى في السحابة والبحر
أكلوا طعاماً روحياً

شربوا شرابا روحياً

ورغم هذه الامتيازات نراه يعدد شرورهم التي أودت بهم إلى الهلاك:-
اشتهاء الشرور
عبادة الأوثان -------- فهلك ٢٣٠٠٠
تجربة الرب -------- فهلكوا بالحيات
التذمر عليه -------- فأهلكهم المهلك

ثم بوضوح تام يقول أن هذه الأمور قد كتبت لإنذارنا، لهذا يختم الحديث بهذا الإنذار والتحذير " إذن من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط."

+ يعود بولس الرسول ويقتبس هذا المثال عينه ليحذر العبرانيين أيضاً فيقول: "لذلك كما يقول الروح القدس اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم كما في الإسخاط يوم التجربة في القفر، حيث جربنى آباؤكم، اختبروني وابصروا أعمالي أربعين سنه، لذلك مقتُّ ذلك الجيل، وقلت أنهم دائما يضلون في قلوبهم ولكنهم لم يعرفوا سبلي، **حتى أقسمت في غضبي لن يدخلوا راحتي.** انظروا أيها الاخوة أن لا يكون في أحدكم **قلب شرير بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي ...** لأننا قد صرنا شركاء المسيح إن تمسكنا ببداءة الثقة ثابتة إلي النهاية." (عب٣: ٧-١٤).

فبولس الرسول يحذرنا من الارتداد كما حدث لبني إسرائيل. فإن كنت بالحق مؤمنا وشريكا للمسيح فإن مظهر ذلك الإيمان هو تمسكك ببداءة الثقة ثابتة إلي النهاية.

+ ولإيضاح هذه الحقيقة يضرب أيضاً بولس الرسول مثلاً آخر فيقول "إن كان قد قطع بعض الأغصان وأنت زيتونة برية طعمت فيها فصرت شريكاً في أصل الزيتونة ودسمها، فلا تفتخر ... **لا تستكبر بل خف،** لأنه إن كان الله لم يشفق علي الأغصان الطبيعية **فلعله لا يشفق عليك أيضاً.** فهذا لطف الله وصرامته:
أما الصرامة فعلي الذين سقطوا. أما اللطف فلك إن ثبت في اللطف، **وإلا فأنت أيضاً ستقطع".** (رو١١:١٧-٢٢).

فإن كنت مؤمنا حقيقياً فإن مظهر ذلك الإيمان هو ثباتك في اللطف، أما إن كنت غير ثابت في اللطف فأنت لست مؤمنا حقيقياً ولهذا تحكم علي نفسك بالقطع.

+ ويضرب أيضاً مثلاً ثالثاً في هذا الصدد فيقول: **"**لأن أرضا شربت المطر الآتي عليها مراراً كثيرة وأنتجت عشبا صالحاً. . . تنال بركة. ولكن إن أخرجت شوكاً وحسكاً فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي **نهايتها للحريق."** (عب٦: ٧،٨)

ولعله استمد هذا التشبيه من مثل الزارع الذي ضربة السيد المسيح، فهذه هي **الأرض المليئة بالأشواك** التي إذ تسقط عليها البذار تنمو ولكن الشوك يخنقها. وقد فسر السيد المسيح ذلك قائلا **"**هؤلاء هم الذين يسمعون الكلمة، وهموم هذا العالم، وغرور الغنى، وشهوات سائر الأشياء تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمر**"** (مر٤:١٩). ونحن نعلم أن **"**كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار**"** (مت٣:١٠). والسيد نفسه قال **"**كل غصن فيَّ لا يأتي بثمر ينزعه ... فيجف فيجمعونه ويطرحونه في النار فيحرق.**"** (يو١٥:٢-٦).
من هذا استعار بولس الرسول ذلك التشبيه في صدد حديثه عن أولئك **"**الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة، وقوات الدهر الآتي وسقطوا**"** (عب٦،٥:٤).
فاحذر من أشواك الهموم العالمية والشهوات والملذات القلبية وغرور الغنى الباطل.

+ ثم يذكر بولس الرسول والحزن يمزق قلبه أناسا مرتدين فيقول "لأن كثيرين يسيرون ممن كنت اذكرهم لكم مرارا والآن أذكرهم أيضا باكيا وهم **أعداء صلب** المسيح الذين **نهايتهم الهلاك.**" (فى١٩،٣:١٨).

+ ويقول عن أحد الخدام العاملين معه وهو "ديماس تركني إذ أحب العالم الحاضر" (٢تى٤:١٠). ونحن نعلم " أن محبة العالم عداوة لله فمن أراد أن يكون محبا للعالم فقد صار عدوا لله" (يع٤:٤) وهكذا صار ديماس عدوا لله!! هذا الذي كتب عنه بولس الرسول يوماً في خطابه إلى فيلمون "يسلم عليك أبفراس ... ومرقس وأرسترخس **وديماس** ولوقا **العاملون معي.**" (فل٢٣:٢٤)

+ ولهذا يقول بولس الرسول "في الأزمنة الأخيرة يرتد **قوم عن الإيمان** تابعين أرواحاً مضلة وتعليم شياطين" (١تى٤:١)

٣- من أقوال بطرس الرسول:

لقد تعرض بطرس الرسول أيضا لهذا الموضوع فقال:
"لأنه إذا كانوا بعدما هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح يرتكبون أيضا فيها فينغلبون، فقد **صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل.** لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعد ما عرفوا **يرتدون** عن الوصية المقدسة المسلمة لهم" (٢بط٢،٢١:٢٠).

وقد ضرب مثلا توضيحياً فقال " قد أصابهم المثل الصادق: كلب عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة" (٢بط٢:٢٢).

قال هذا عن أناس عرفوا الرب والمخلص ثم عادوا إلى النجاسة. فاحذر يا مبارك من نداءات الخطية . واثبت في الرب.

٤ من أقول يهوذا الرسول:

فقد كتب رسالته كلها عن الارتداء وقد استشهد بعدة أمثلة لجماعات وأفراد مرتدين.

جماعات مرتدة:
+ شعب إسرائيل : إذ يقول " أريد أن أذكركم ولو علمتم هذا مرة أن الرب **بعدما خلص الشعب** من أرض مصر **أهلك** أيضا الذين لم يؤمنوا" (يهوذا ٥)

وهو بهذا يتفق مع بولس الرسول في قوله "فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول إلى راحته يرى أحد منكم أنه قد خاب منه" (عب٤:١).

+ **الملائكة الذين اخطأوا** : وهذا مثل آخر ضربه يهوذا الرسول عن الجماعات المرتدة إذ قال "والملائكة الذين لم **يحفظوا رياستهم** بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام" (يهوذا ٦).

وبهذا قد اتفق مع بطرس الرسول في قوله "لأنه إن كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا بل في سلاسل الظلام طرحهم في جهنم وسلمهم محروسين للقضاء يعلم الرب أن ... يحفظ الآثمة إلى يوم الدين معاقبين" (٢بط٢:٤-٩)

أفراد مرتدون :
وعلاوة على ذكره أمثلة من الجماعات المرتدة، ذكر أيضا بعض الأمثلة لأفراد مرتدين في قوله "ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين، وانصبوا إلى ضلالة بلعام لأجل أجرة، وهلكوا في مشاجرة قورح" (يهوذا ١١).

***قايين :** يمثل المرتدين **المتجاهلين كلمة الله،** إذ يلمح بولس الرسول عنه في قوله "بالأيمان قدم هابيل لله ذبيحة أفضل من قايين. فيه شهد له أنه بار إذ شهد الله لقربانه." (عب١١:٤).

فمما لا شك فيه أن كل من قايين وهابيل قد تعلم من أبيه أنه لا يمكن الاقتراب إلى الله **إلا بذبيحة دموية.** ولكن قايين لم يصدق ذلك وقدم من ثمار الأرض، وبهذا قد تجاهل كلمة الله.

*** بلعام :** يمثل المرتدين **المعترضين على كلمة الله،** فقد كان نبياً محباً للمال فاستأجره بالاق ملك موآب ليلعن شعب إسرائيل، ورغم أن الله حذره قائلا: "لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب لأنه مبارك" (عدد٢٢:١٢).

إلا أنه حاول مراراً أن **يعترض على كلمة الله** وأخيرا أشار على بالاق أن يضع معثرة أمام الشعب حتى يخطئوا فيغضب الرب عليهم، وهذا ما دونه سفر الرؤيا في قوله: "تعليم بلعام الذي كان يعلم بالاق أن يلقى معثرة أمام بنى إسرائيل أن يأكلوا ما ذبح للأوثان ويزنوا." (رؤ٢:١٤).

وقد نجحت فعلا مشورته إذ قامت بنات موآب "فدعون الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجد لآلهتهن، وتعلق إسرائيل ببعل فغور. فحمى غضب الرب على إسرائيل" (عدد٣،٢٥:٢). وهكذا "فإن هؤلاء (أى بنات موآب) كن لبنى إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في أمر فغور فكان الوبأ في جماعة الرب." (عدد٣١:١٦).

ثم ماذا كانت نهاية بلعام المرتد؟ انتصر شعب إسرائيل ولكن "بلعام بن بعور العراف قتله بنو إسرائيل بالسيف مع قتلاهم." (يش١٣:٢٢)

*** قورح:** يمثل المرتدين **المتمردين على نظام الرب،** فقد كان من بنى لاوى. ولكنه بالاشتراك مع داثان وأبيرام قاوم موسى وهرون، ونالوا جزاء شرهم إذ فتحت الأرض فاها وابتلعتهم فهبطوا إلى الهاوية أحياء" (عدد١٦:٣١-٣٣).

وهكذا نرى شهادة يهوذا الرسول وقد لخصها هو بقوله "لأنه دخل خلسة أناس قد كتبوا منذ القديم لهذه الدينونة فجار **يحولون نعمة إلهنا** إلى الدعارة، وينكرون السيد الوحيد الله وربنا يسوع المسيح" (يهوذا ٤)

ثانياً: شهادة آباء الكنيسة

١ـ القديس هرماس قال:

[إن من يصنع الشر قبل أن يعرف الرب ينال عقاباً شديداً أما من عرف الرب فيجب ألا يفعل الشر بل الصلاح، فإن هو فعل الشر عوض البر أفلا يكون شره أعظم من ذاك الذي لم يعرف الله؟ لهذا فالذي يفعل الشر دون معرفته للرب ينال حكم الموت أما **أولئك الذين عرفوا الرب ورأوا أعماله** العظيمة واستمروا في حياة الشر، سينالون عقاباً **مضاعفاً ويهلكون إلى الأبد]** (لو١٢،٤٨:٤٧).

(Ante . N. Fars Vol. 11 P. 50.)

٢ـالقديس يوحنا ذهبى الفم قال:

[لقد حذر السيد المسيح مريض بيت حسدا بعد أن شفاه قائلاً "ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضا لئلا يكون لك أشر" (يو٥:١٤) ولم يكن هذا التحذير لـه فحسب وإنما كان للخليقة كلها فلنردد هذه الكلمات في نفوسنا دائما، وحتى بعد أن خلصنا بدم المسيح من عقوبة الخطية فليحذر كل منا نفسه قائلاً "ها أنت قد برئت فلا تخطئ لئلا يكون لك أشر]

(N. & P. Fars 1st Sers. Vol. X1V. P. 132)

٣ـالقديس أوغسطينوس قال:

[إنه لا سبيل لنا إلى النجاة من الرجوع إلى الوراء إلا بالاجتهاد الدائم في الارتقاء والتقدم إلى الأمام لأننا **حينما نقف فالواقع أننا نرتد إلى الوراء.** فعدم التقدم يعنى التقهقر. فإن أردنا ألا نرجع إلى الوراء علينا أن نسرع راكضين على الدوام بلا راحة إلى الأمام] (الحب المقدس جزء ١ ص ٣٣).

٤ـالقديس اغريغوريوس قال:

[إن الذين يسيرون في سبل الفضيلة يشبهون إنسانا موجوداً في وسط نهر سريع الجريان. فإنه إذا رام أن يقف قليلا في الوسط ولا يجتهد دائما مقاوماً الماء، يوشك أن يسحب بالماء قهراً إلى الخلف. وهكذا الطريق التي يلزمنا السلوك فيها يضاد جريان ميل طبيعتنا الفاسدة بالخطية. فإذا غفل السالك فيها ولم يجاهد على السير إلى الأمام، فإنه بلا شك سيسحبه جريان شهواته إلى الوراء.وقد قال المخلص "ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه]**.**

(المرجع السابق الحب المقدس جزء ١ ص ٣٣).

ثالثاً: شهادة مشاهير البروتستانت

يعترض البروتستانت على خطية الارتداد للمؤمن ولكن يوجد شهود من بينهم يشهدون للحق الكتابي الذي تتمسك به الأرثوذكسية. ونقدم أقوال بعض هؤلاء الشهود:

١- و. جونز: W. Jones.

يتساءل جونز قائلا: **"هل يمكن حدوث الارتداد؟"** ثم يجيب على السؤال قائلا [لا يسعنا أمام تعليم الكتاب وطبيعة الإنسان، إلا أنه نقول أن ذلك ممكن جداً]

ودلل على ذلك قائلا:

أ - إن ما كتبه بولس الرسول في (عب٦:٤-٨) عن سقوط الذين استنيروا مرة وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح المقدس ... ليس هو مجرد فرض
بلا معنى، إذ ليس من المعقول أن الروح القدس يوحي لكاتب الأسفار أن يذكر مثل هذا السقوط المخيف إن كان حدوثه أمرا مستحيلاً.

ب - إن تحذيرات الكتاب المقدس العديدة الموجهة للمسيحيين ضد الارتداد، تشهد بإمكانية حدوثه. فإن ما ذكر في الرسالة للعبرانيين (عب٦:٤-٨) هو من أطول وأقوى الإنذارات والتحذيرات من خطر الارتداد عن المسيح.
ج - كما أن تركيب طبيعتنا يظهر إمكانية الارتداد. فنحن نملك حرية الإرادة لنخدم الله بأمانة أو نرفضه في حماقة].

(Pulpit commentary Vol. 21. Heb. P. 169.)

٢- س. نيو: C. New.

يتكلم عن موضوع عنوانه **"التحذير من خطر الارتداد وجرمه"** (عب٦). فيقول:

أ - لقد كان أولئك الناس (العبرانيون) معرضين لخطر الارتداد، وإلا فما كان هناك معنى لكلمات الرسول هذه. فإن لم يكن قد خشي عليهم من ذلك (الارتداد) ما كتب لهم هذه الرسالة ... ولكن أشار إلى إمكانية ارتدادهم، إذ أنه لم يكن متأكدا من امتلاكهم للتقوى الحيوية فالمثابرة هي محك الإيمان الحي. فقد يكون لنا المظهر الخارجي للصفات المسيحية، ومع ذلك قد نسقط في خطية الارتداد وتصير لنا دينونة.

ب - هذا الارتداد في الحقيقة هو رفض للمسيح وبهذا يصلبون لأنفسهم ابن الله ثانية. (عب٦:٦)

ج - هذا الرفض يستوجب دينونة الله الأخيرة لأن أرضا قد شربت المطر ... وأنتجت عشبا صالحا ... تنال بركة. ولكن إن أخرجت شوكا وحسكا فهي مرفوضة وقريبة من اللعنة التي للحريق (عب٦،٨:٧) فما هو رجاء من رفض ابن الله؟ أي شر أعظم من ذلك؟ وأي دينونة هي أرهب؟ لذلك فإن أعظم إثم في الوجود هو رفض المسيح.

(I bid P. 173,174)

٣- متى هنرى: M. Henry

يظهر بولس (في رسالته للعبرانيين ٦،٥:٤) كيف أن بعض الأشخاص قد يتعمقون كثيراً في الدين ورغم كل هذا يرتدون ويهلكون إلى الأبد، إن عقوبة الارتداد هي النار الأبدية التي لا تطفأ، هذه هي النهاية المحزنة التي يوصل إليها الارتداد. لهذا يجب على المسيحيين أن ينموا في النعمة وبالنعمة خشية أنه عوض أن يتقدموا إلى الأمام يتراجعون إلى الخلف فيصلون إلى تلك النهاية المخيفة المحزنة ...

(Matthew Henry Cmmentary Vol. V1 P.P. 913.)

٤- يوناثان ادواردز : Yonathan Edwards.

قام جون. جرستنر **John H. Gerstner.** ببحث دقيق في رسالة يوناثان إدواردز التبشيرية واستخلص منها مبادئه وآراءه بخصوص المواضيع الخلاصية. وإليك بعض ما كتبته عنه بخصوص الارتداد فيقول: [ذكر يوناثان ادواردز ستة أنواع للارتداد في عظـة واحدة (مز٧٨:٥٧).

النوع الأول: أخطر أنواع الارتداد وهو ارتكاب الخطية التي لا تغتفر ودلل على ذلك بما كتب في (عب٦) (مر٣: ٢٨). واقتبس جريستنر من أقوال يوناثان ادورداز العبارة الآتية: **"**الارتداد في كماله هو الخطية التي لا تغتفر. وكل ارتداد هو اقتراب منها".

النوع الثاني: البعض يرتـدون عن الدين ويصبحـون ملحدين كفرة لا يؤمنون بوجود الله، أو يصبحون عالميين.

النوع الثالث: وآخرون يسقطون في هرطقات وتعاليـم باطلة رغم أنهم لا يفصلون أنفسهم عن الكنيسة.

النوع الرابع: يشمل أولئك الذين يسقطون في ممارسات شريرة.

النوع الخامس: هم الخطاة الذين استيقظوا مرة ثم عـادوا فسقطوا في نوم روحي أدى إلى الموت مثل امرأة لوط وبنى إسرائيل في البرية (مز٧٨:٣٦).

النوع السادس: يشمل ارتـداد أولئك الذين كانت لهم أشواق ملتهبة وكان لهم مظهـر التقـوى (مز١٠٦:١٢) فأولئك هم أصحـاب القلـوب الحجرية (مت١٣) الذين قبلوا الكلمة بفرح ولكنهم ارتدوا عند التجربة. ويذكر يهوذا (عدد٤) آخرون من هذا النوع. أما أوضح مثل لذلك فهم الفريسون. وشاول الملك يمثل صورة ارتداد الأفراد. لذلك فقد كان يوناثان إدواردز دائما يحـذر شعبه من خطر خطية الارتداد.

(Steps to ellevation, by John H. Gerstner P. 110 111.)

٥- القس عاموس ينى:

تحت عنوان **"**الحفظ في النعمة والارتداد**"** كتب قائلاً: [إنه من واجبات كل ابن لله ليس أن يطهر فقط من كل خطية في هذه الحياة بل أن يحفظ نفسه بلا دنس من العالم فلا يغيظ خالقه فيما بعد (مز٣٧:٣٧،عب١١:٥) غير أن أحسن المؤمنين معرضين للارتداد فيهلكوا إلى الأبد ويتضح ذلك من تاريخ:بعض الملائكة (أى٤:١٨) (٢بط٢:٤،يه٦) تاريخ آدم (تك١:٣،جا٧:٢٩) تاريخ اليهود (١كو١٠،عب٣:١٧،يه٥) تاريخ شاول الملك (١صم١٥:٢٣،١٠:٩ ،١٦:١٤) تاريخ يهوذا (مز٤١:٩،يو١٣:١٨،مت٢٦:٢٤) (يو١٧:١٢،أع١:٢٥) هذا والأوامر العديدة والتحريضات على الاستمرار والحفظ والتحذيرات من الارتـداد كلها أدلـة لإثبات هذا التعليم(١أى٢٨:٩)، (خر١٨:٢٤)، (مت٥:١٣)، (لو٩:٦٢) (يو١٥:١-٦).

[مختصر نظام اللاهوت لكنيسة نهضةالقداسة الكندية ص١٢٣،١٢٢]

من كل ما تقدم نستطيع أن ندرك خطورة ارتداد من يدعون أنهم مؤمنون في حين أنهم لا زالوا يسلكون حسب الجسد!! فالكتاب يحذرنا في مواضع عديدة من هذا إذ يقول: **"**لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع **السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح"** (رو١:٨).

فلا يصح مطلقاً أن نبني إيماننا على الشطرة الأولى من هذه الآية متناسين حتمية السلوك وفق الشطرة الثانية منها أي السلوك حسب الروح.

ولأهمية ذلك عاد بولس الرسول فقال: **"**إنكم إنما دعيتم للحرية أيها الاخوة. **غير أنه لا تصيروا الحرية فرصة للجسد."** (غل٥:١٣).

وفي هذا المعنى عينه قال بطرس الرسول "كأحرار **وليس كالذين الحرية عندهم سترة للشر**" (١بط٢:١٦).

فإني أتعجب جداً من أناس يدعون أنهم مؤمنون في حين أنهم لا زالوا عبيداً لعادات لا تليق بأولاد الله كالخمر والسجاير والتلفزيون والموضات العالمية، والزينة الخارجية، وثياب الخلاعة ... الخ .

والأعجب من هذا أنهم يبررون أنفسهم باختراع تعبير يخدرون به ضمائرهم فيقولون أنهم "مؤمنون جسديون." **!!**

صدقوني يا أحبائي ما رأيت في الكتاب المقدس مثل هذا التعبير بل على العكس تماما إذ يقول الكتاب "إن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون، ولكن الذين حسب الروح فبما للروح. **لأن اهتمام الجسد هو موت ... اهتمام الجسد هو عداوة لله...** فالذين هم في **الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله ...** وإن كان المسيح فيكم **فالجسد ميت ...** فإذاً أيها الاخوة نحن مديونون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن **عشتم حسب الجسد فستموتون.** ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون." (رو٨:٥-١٣).

أفبعد كل هذه التصريحات الواضحة نقول أنه يوجد ما يسمى **"مؤمنون جسديون".** ألعل يهوذا الرسول (ليس الاسخريوطي) كان يقصد هذه الفئة في قوله "لأنه دخل خلسة أناس قد كتبوا منذ القدم لهذه الدينونة، فجَّار يحولون نعمة إلهنا إلى الدعارة." (يهوذا٤)

والواقع أنه لا أحد يستطيع أن يبرر تصرفاته بما قاله معلمنا بولس الرسول لأهل كورنثوس: "وأنا أيها الأخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال في المسيح ... لأنكم بعد جسديون فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر. لأنه متى قال واحد أنا لبولس وآخر أنا لأبلس أفلستم جسديين" (١كو٣: ١-٤).
والواقع أن لنا بعض الملاحظات على هذا الكلام حتى لا يساء فهمه:

١- يتضح من عدد٣ أن الذي يسلك بحسب الجسد إنما يسلك بحسب البشر أي كغير المؤمنين.

٢- ويلاحظ أن بولس الرسول لم يمتدح المؤمنين في هذا التصرف بل كان يوبخهم لأنهم لا زالوا جسديين أي يتصرفون مثل غير المؤمنين.

٣- ويفهم أيضا من هذا الكلام الذي قاله الرسول للمؤمنين في كورنثوس أن تصرفاتهم هذه التي تشبه تصرفات غير المؤمنين قد تظهر في حياة المبتدئين (الأطفال في الإيمان) كبقايا الماضي والتي يجب أن يتخلصوا منها، لا أن يتخذها البعض تبريرا لحياتهم الهزيلة المرتدة.

لهذا ليتنا نحذر من خطر الارتداد فنسلك بالروح ولا نكمل شهوة الجسد (غل٥:١٦). **آمين.**

الفصل الثاني

المؤمن والارتداد الروحي

أولاً:- تعريف المؤمن.
ثانياً:- مفهوم الارتداد.

تمهيد

هل يمكن أن يرتد المؤمن ويهلك ؟ سؤال حيَّر الكثيرين إذ انقسموا بصدده إلى شيع ومذاهب. وحتى لا نحيد عن جادة الصواب في الإجابة على هذا السؤال علينا أن نناقش قضيتين أساسيتين هما :-

تعريف المؤمن.
مفهوم الارتداد.

أولاً: تعريف المؤمن

قد يظن البعض أن كل المسيحيين مؤمنون. فهذا خطأ شائع، والواقع أن المسيحيين ينقسمون إلى ثلاثة أنواع:
مسيحيون إسميون.
ومسيحيون متدينون.
ومسيحيون مؤمنون.

(١) المسيحيون الإسميون :

نستطيع أن نسميهم المسيحيين بالوراثة: وهم أولئك الذين ولدوا من أبوين مسيحيين وأطلق عليهم أسماء مسيحية، وأحياناً يتهربون منها فيختارون أسماء مشتركة تبعد عنهم شبهة المسيحية!! وكل ما يربطهم بالمسيحية وجود كلمة (مسيحي) في خانة الديانة بشهادة الميلاد أو البطاقة الشخصية ... أما حياتهم وسلوكهم فلا تمت للمسيحية بصلة. فهم لا يعرفون باب الكنيسة اللهم إلا في المناسبات عندما يحضرون إكليلاً أو جنازة أو ليالي الأعياد.
وهم لا يقرءون الكتاب، ولا يرفعون الصلوات ... أفنقول عن هؤلاء أنهم مؤمنون ؟! كلا. بل هم مسيحيون إسميون بالوراثة. مثل هؤلاء قيل عنهم "لك اسم أنك حي وأنت ميت" (رؤ٣: ١). والنوع الثاني من المسيحيين هم:

(٢) المسيحيون المتدينون:

ويمكن أن نسميهم المسيحيين المظهريين وهؤلاء يكتفون بممارسة شكلية العبادة دون فاعلية الإيمان في حياتهم. وهم يمتازون عن الفئة السابقة بأنهم يواظبون على الذهاب إلي الكنيسة، ويصلون ويصومون ويتصدقون ويسمعون الكلمة ولكنهم لا يفهمونها. وقد شبه السيد المسيح هذه الفئة في مثل الزارع بالطريق إذ قال: "كل من يسمع كلمة الملكوت **ولا يفهم** فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع في قلبه. هذا هو المزروع علي **الطريق**." (مت١٣: ١٩).

وفي إنجيل معلمنا مرقس البشير نقرأ ذلك في أسلوب آخر فيقول: "وهؤلاء هم الذين علي الطريق. حيث تزرع الكلمة **وحينما يسمعون يأتي الشيطان للوقت وينزع الكلمة** المزروعة في قلوبهم." (مر٤: ١٥).

ومعلمنا لوقا البشير يصيغها في أسلوب آخر فيقول: "الذين على الطريق هم الذين يسمعون ثم يأتي إبليس **وينزع الكلمة** من قلوبهم **لئلا يؤمنوا فيخلصوا." (لو٨:١٢).**

وبمقارنة هذه الأقوال التي ذكرها البشيرون الثلاثة نستخلص صفات هؤلاء المسيحيين الاسميين المظهريين، فنجد أنهم:-
يسمعون الكلمة
ولا يفهمونها

ينزعها إبليس منهم
فلا يؤمنون
ولا يخلصون
فهل نستطيع أن نطلق عليهم أنهم مؤمنون؟ والسيد نفسه يقول "لئلا يؤمنوا فيخلصوا" (لو٨:١٢).

وبالرغم من أنهم غير مؤمنين نراهم يتبعون المسيح ويسمعون الكلمة، لهذا فيمكن تسميتهم مسيحيين متدينين وليسوا مؤمنين.

وبكل حسرة أقول أن هناك نسبة كبيرة من شعبنا يتبعون هذا النوع إذ نجد الكنائس مزدحمة بالناس في أيام الآحاد والأعياد والمناسبات، ولكنهم مظهريون، وليس للإيمان نصيب في قلوبهم، يسمعون كلمة الوعظ ولكنهم لا يحاولون فهمها أو تطبيقها في حياتهم، بل يخرجون من الكنيسة تماماً كما دخلوا. مكتفين بتخدير ضمائرهم أنهم حضروا الكنيسة!! وانطبق عليهم قول الرسول "لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها" (٢تى٣:٥).

هذا عن المسيحيين الاسميين والمسيحيين المتدينين، بقى أن نتكلم عن الفئة الثالثة من المسيحيين وهم:

(٣) المسيحيون المؤمنون:

وهؤلاء أيضا ينقسمون إلى فئات ثلاث فنرى من بينهم:-
المؤمن العقلي.
والمؤمن العاطفي.
والمؤمن القلبي الروحاني.

(أ) المؤمن العقلي:-

وهو المشار إليه في مثل الزارع بالأرض المحجرة، التي تشير إلى تربة القلب الحجرية، فالسيد يقول: "المزروع على الأماكن المحجرة هو الذي **يسمع** الكلمة وحالا **يقبلها** بفرح، ولكن ليس له أصل في ذاته بل **هو إلى حين**. فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثر" (مت١٣،٢١:٢٠).

ومعلمنا لوقا البشير يصيغها في أسلوب آخر فيقول: "الذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح. وهؤلاء ليس لهم أصل **فيؤمنون إلى حين،** وفي وقت التجربة **يرتدون."** (لو٨:١٣). وبمقارنة أقوال البشيرين نستطيع أن نستخلص صفات هذا النوع من المؤمنين:-
يسمعون الكلمة
يقبلونها بفرح
يؤمنون إلى حين
يرتدون

ولعلك تلاحظ يا أخي أنهم **يؤمنون إلى حين** ثم يرتدون ارتداداً دائما لأن قلوبهم حجرية لم تتأثر بالكلمة وإنما كان قبولهم للكلمة قبولا عقلياً، وإذ صادفتهم التجارب ينسون ما سمعوه ويرتدون إلى حالتهم الأولى.

هؤلاء نستطيع أن نسميهم مؤمنين لأن المسيح قال عنهم "يؤمنون إلى حين" لأنه في هذا الحين الذي كانوا فيه مؤمنين لا نستطيع أن نميز إن كان إيمانهم دائما أم هو إلى حين! إذ هو مصحوب بالفرح. ولكن الله الذي يفحص القلوب يعرف انهم أمام التجربة سيرتدون.

كم من أناس عندما نكلمهم عن المسيح يقبلون الكلام بفرح ويؤمنون فعلا بذلك، ولكننا نحزن كثيراً عندما نراهم قد ارتدوا إلى ما كانوا عليه أولاً، انهم المؤمنون العقليون الذين ما زالت قلوبهم متحجرة، فما لم يسلموا حياتهم للرب لينزع قلوبهم الحجرية ويعطيهم قلب لحم (حز١١:١٩) لا يمكن أن يخلصوا.

(ب) المؤمن العاطفي :

وهو المشبه في مثل الزارع بالأرض المليئة بالأشواك. فقد قال السيد المسيح "هؤلاء هم الذين زرعوا بين الشوك. هؤلاء هم الذين **يسمعون** الكلمة وهموم هذا العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الأشياء **تدخل وتخنق الكلمة** فتصير بلا ثمر" (مر٤:١٩).

ولوقا البشير يقول عنهم "يسمعون ثم يذهبون فيختنقون من هموم الحياة وغناها ولذاتها ولا ينضجون ثمراً" (لو٨:١٤).

من هذا نستطيع أيضا أن نستخلص صفات هذا المؤمن العاطفي.
يسمع الكلمة.
يخنق الكلمة بالهموم والغرور.
والشهوات واللذات.
فلا يثمر.

هذا النوع من المؤمنين هم عاطفيون فعندما يسمعون الكلمة يتأثرون بها ويؤمنون ثم عندما يذهبون (لو٨:١٤) أي يبتعدون عن المجال الروحي تتغير عواطفهم فيتأثرون بالهموم والغنى ويسمحون للشهوات والملذات أن تدخل في حياتهم (مر٤:١٩) وعندئذ تموت الكلمة ولا يأتون بثمر (لو٨:١٤) والكتاب المقدس يقول "كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار" (مت٣:١٠) ورب المجد نفسه قال "كل غصن في لا يأتي بثمر ينزعه." (يو١٥:٢).
ولماذا ندرج هذا النوع إذن ضمن المؤمنين؟!

إننا ندرجه ضمن المؤمنين لأنهم **يؤمنون إلى حين** (لو٨:١٣) وفي هذا الحين يتراءون لنا كأنهم مؤمنون تماما إذ يسمعون الكلمة ويقبلونها ... فكثيرا ما يصادفنا في خدمتنا هذا النوع المتقلب العواطف ... فعندما يقبلون الكلمة نفرح بهم ونحسبهم في عداد المؤمنين، أما الله كاشف السرائر الذي كل شئ مكشوف وعريان أمامه يعلم نهايتهم أنهم سوف يختنقون (لو٨:١٤) ولا يرجى لهذا النوع خلاصاً إن لم يركزوا عواطفهم في المسيح يسوع.

(ج) المؤمن القلبي الروحاني :

هذا المؤمن الروحاني الذي قبل الرب في حياته فادياً ومخلصاً وملكاً. وقد شبهه السيد في مثل الزارع **بالأرض الجيدة** فبحسب رواية معلمنا متى البشير نقرأ عنه : "المزروع على الأرض الجيدة فهو الذي **يسمع** الكلمة **ويفهم**، وهو الذي يأتي **بثمر**، فيصنع بعض مائة وآخر ستين وآخر ثلاثون" (مت١٣:٢٣).

وبحسب رواية مرقس الرسول نقرأ "هؤلاء هم الذين زرعوا على الأرض الجيدة، الذين يسمعون الكلمة ويقبلونها ويثمرون واحد ثلاثون وآخر ستين وآخر مائة (مر٤:٢٠).

وفي إنجيل معلمنا لوقا نقرأ "الذي في الأرض الجيدة هم الذين **يسمعون** الكلمة **فيحفظونها في قلب جيد صالح** ويثمرون بالصبر." (لو٨:١٥).
فمن أقوال البشيرين الثلاثة نرى صفات المؤمن القلبي الروحاني:

* يسمع الكلمة (مت١٣:٢٣)
* يقبلها (مر٤:٢٠)
* يفهمها (مت١٣:٢٣)
* يحفظها في قلبه (لو٨:١٥)
* يثمر بالصبر (لو٨:١٥)

لماذا نسمى هذا النوع بالمؤمن القلبي؟

نسميه كذلك لأن السيد نفسه يقول عنهم أنهم "يحفظون الكلمة في قلب جيد صالح (لو٨:١٥).

ولأن بولس الرسول يحدد مركز الإيمان الحقيقي وهو القلب عندما قال "لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص" (رو١٠:١٠).
ولأن الأيمان إذا دخل إلى القلب غيره كلية إذ يقول الرب "أعطيكم **قلباً جديداً** وأجعل روحا جديدة في داخلكم وانزع **قلب الحجر** من لحمكم **وأعطيكم قلب لحم**" (حز٣٦:٢٦).

وقال أيضا "أعطيهم **قلبا** ليعرفوني أني أنا الرب فيكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً لأنهم يرجعون إلى بكل قلوبهم" (أر٢٤:٧).

ولهذا فإن داود النبى عندما طلب من الرب قال "**قلبا** نقياً اخلق في يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي" (مز٥١:١٠).

فالمؤمن القلبي هو ذاك الذي قبل المسيح في الداخل فاصبح ابناً لله "كل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه" (يو١:١٢).

والمؤمن القلبي هو ذاك الذي صار "المسيح حياته" (كو٣:٤) وصار له "فكر المسيح" (١كو٢:١٦). وأخذ طبيعة المسيح "لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه"(أف٥:٣٠) وحسب له بر وقداسة المسيح "ومنه أنتم بالمسيح يسوع الذي صار لنا من الله حكمة وبر وقداسة وفداء" (١كو١:٣٠). وكما قال بولس الرسول أيضا "جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" (٢كو٢١:).

ويعلق على ذلك القديس يوحنا ذهبي الفم قائلاً: [تأمل عظمة الأشياء التي وهبها الرب لك. فأنه أمر عظيم حقا أن يموت خاطئ من أجل آخر. ولكن أي لغة تستطيع أن تعبر عن عظمة موت البار من أجل الأثمة، ليس ذلك فقط بل أن يحسب أيضا لعنة، وأكثر من هذا هباته الغنية المجانية التي ما كنا نتوقعها إذ يقول: إن البار جعل خاطئا لكي يجعل الخاطئ باراً. ولم يقل ذلك فحسب بل ما هو أعظم بكثير ... فلم يقل جعل **خاطئا** بل جعل خطية ولم يقل **الذي لم يخطئ** بل **الذي لم يعرف خطية** لكي نصير نحن، لم يقل **أبراراً** بل قال نصير **براً وبر الله** لأن هذا هو بر الله إذ قد تبررنا ليس بالأعمال بل بالنعمة وبذلك فإن خطايانا كلها قد محيت.]
(N. & P. Fars 1st Sers. vol. X11 P.334)

هذا النوع من المؤمنين هم الذين قال عنهم بولس الرسول "الذين يحبون الله الذين هم مدعون حسب قصده لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهين صورة ابنه ... والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضا. والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضا. والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضا" (رو٨:٢٨-٣٠).
وقال عنهم بطرس الرسول "المختارين بمقتضى علم الله الآب السابق في تقديس الروح للطاعة ورش دم يسوع المسيح" (١بط١،٢:١).
أخي تستطيع إذن الآن أن تفحص نفسك لترى إن كنت مجرد مسيحي اسمي ولم تدخل بعد في دائرة الأيمان؟ أو إن كنت مؤمنا عقليا تؤمن بوجود الله والأقانيم والطقوس والعقائد وتكرم الرب بشفتيك أما قلبك فمبتعد عنه بعيدا وباطلاً تعبده (مر٧:٦)؟ أم إن كنت مؤمنا عاطفياً متقلباً؟! أم مؤمنا قلبياً حقيقياً صارت لك الطبيعة الجديدة والامتيازات الجليلة التي لأبناء الله؟!!

والآن بعدما عرفنا أنواع المسيحيين وفئات المؤمنين دعنا نناقش مفهوم الارتداد .

ثانيا: مفهوم الارتداد

الارتداد هو ترك الرب والرجوع إلى الخطية. وقد وضح هذا المفهوم أشعياء النبي بقوله **"تركوا الرب،** استهانوا بقدوس إسرائيل، **ارتدوا إلى الوراء"** (اش١:٤).

ولكي نفهم الأمر جليا، يجب أن نعرف أن هناك نوعيين من الارتداد:
١- ارتداد إلى حين.
٢- وارتداد دائم.

(١) <u>الارتداد إلى حين:</u>

فالمؤمن القلبي الذي قبل الرب في حياته مخلصاً وفادياً وملكاً قد ينتابه ضعف فيسقط في الخطية وقد يرتد. ولكن هذه الحالة لا تدوم طويلاً إذ سرعان ما يبكته روح الرب، فيستجيب لهذا التبكيت ويندم تائبا ويرجع إلى حضن أبيه ثانية. ولتوضيح هذا النوع من الارتداد نتكلم عن: جوهره، ونهايته.

(أ) <u>جوهره:</u> هذا النوع من الارتداد هو حالة سقوط **ناتجة عن الضعف البشرى** الذي يلازم المؤمن الروحاني، كما قال **القديس أوغسطينوس**:

[إن المعمودية تغسل كل الخطايا ... ولكنها لا تنزع الضعف البشرى الذي يظل المتجدد يقاومه في جهاد حسن، هذا الضعف الذي نقاومه بين سقطة وقيام حتى الموت، سينتهي بتجديد آخر (في مجيء الرب الثاني).]
(N.& P. Fars 1st Sers vol. V P.404.)

فهذا النوع من الارتداد ليس ناجما عن قساوة قلب وعناد، ولا عن استباحة واستهانة وإنما هو نتيجة الضعف البشرى الذي يلازم المؤمن الروحي.

(ب) <u>نهايته:</u> إن هذا النوع من الارتداد يستجيب فيه المؤمن لتبكيتات الروح القدس فيتوب ويعترف بخطاياه ولذلك فهو غالبا ما يؤدي إلى العودة والتوبة لا إلى الهلاك. إذ هو ارتداد إلى حين ينتهي برجوع المؤمن إلى نفسه فيستيقظ بعد غفلة ويقوم ويرجع إلى أبيه. والكتاب المقدس يوضح ذلك في مواضع عدة:-

+ يقول سليمان الحكيم "الصديق يسقط سبع مرات ويقوم" (أم٢٤:١٦).
+ وداود النبى يزيد على ذلك قوله "إذا سقط لا ينطرح (لا يهلك) لأن الرب مسند يده" (مز٣٧:٢٤).

لهذا يقول ميخا النبى "لا تشمتي بي يا عدوتي إذا سقطت أقوم، إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي" (مى٧:٨).
+ وارميا النبى يقول عن مثل هؤلاء "هل يسقطون ولا يقومون؟ أو يرتد أحد ولا يرجع ؟" (أر٨:٤).

من هذا نرى أن المؤمنين الروحانيين الذين يسقطون عن ضعف إن تابوا لا يهلكون بل على العكس من ذلك فقد قال الرب عنهم: "أنا أشفى ارتدادهم أحبهم فضلاً" (هو١٤:٤).

لهذا فهم يهتفون مع بولس الرسول قائلين "أما نحن فلسنا من الارتداد للهلاك بل من الإيمان لاقتناء النفس" (عب١٠:٣٩).
وعن هؤلاء قال القديس يوحنا ذهبي الفم:

[المؤمن الذي من هذا النوع إذا أخطأ تحت ظروف معينة سرعان ما يرجع إلى نفسه حتى وإن عاش فترة متلذذا بحياة الشر، فالله الذي يعرف كل شئ لا يتغاضى عنه وإنما يسرع وينقذه ...فداود النبي الذي ارتكب جريمتي

زنا وقتل، إذ قد فعل ذلك لظروف معينة، **وليس نتيجة لممارسة الشر كشيء مألوف واعتيادي في حياته** سرعان ما قام واغتسل من هذه الخطية.

(N. & P. Fars 1st Sers vol. x1 P. 466)

وجميل أن يميز يوحنا ذهبي الفم بين من يمارسون الشر في حياتهم **كشيء مألوف اعتيادي** وبين المؤمنين الروحانيين الذين صارت الخطية **بالنسبة لهم شيئاً غريبا ممقوتاً لأن قلوبهم** قد تغيرت وأصبح لها طبيعة المسيح التي تبغض الإثم. فإن هم سقطوا في الخطية كان ذلك نتيجة ضعف أعقبه حزن وتبكيت ثم توبة وقيام.

ويضع **العلامة أوريجانوس** تشبيهاً جميلاً لهذه الحالة فيقول:
[لكي نظهر طبيعة السقوط والارتداد نذكر تشبيها مناسبا للتوضيح: هب أن شخصا تعلم فنا أو علما كالهندسة أو الطب حتى أتقنه ... فهل من المعقول أنه إذا نام يستيقظ جاهلاً؟!. فمن الطبيعي أنه إذا واظب المهندس أو الطبيب على دراسة فنه وممارسته عمليا يحتفظ بمعلوماته، ولكنه إذا أهمل ذلك فسوف يفقدها بالتدريج حتى يأتي عليه وقت تنمحي من ذاكرته تماماً. على أنه من الممكن معالجة الأمر في بدايته، فمن يرتد مستسلما لعوامل الكسل والإهمال التي تبدو بسيطة في أولها، إن هو قام ورجع إلى نفسه بسرعة، واصلح الخسائر التي مازالت حديثة إلى ذلك الوقت ، نجا من خطر الارتداد. هكذا الحال مع أولئك المؤمنين الذين كرسوا ذواتهم لله.]

(Ante N. Fars vol. 1x P.256)

وما أجمل ما قاله **القديس أوغسطينوس** أيضا في هذا الصدد:
[إننا مدينون بالخطايا **...** ربما تقولون: وأنتم أيضاً أيها الأساقفة مدينون بالخطايا؟ أجيب نعم نحن أيضا. **"**فإن قلنا أنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا**"** (١يو ١:٨).
إننا قد اعتمدنا ومع ذلك فنحن مدينون، ليس لأن المعمودية لم تغفر شيئا ما، بل لأننا نصنع ما يحتاج إلى مغفرته يوميا، فالذين اعتمدوا وانتقلوا في الحال من هذا العالم، خرجوا بدون خطية ... وأما الذين اعتمدوا وبقوا في هذه الحياة فإن لهم **نجاسات بسبب ضعفهم الجسدي** والتي رغم كونها لا تسبب غرقا للسفينة (أي هلاكا) إلا إنها تحتاج إلى مضخة لتنزحها، لئلا يتسرب إليها قليلاً قليلا حتى يؤدى إلى غرقها.]
(الحب المقدس جزء ١ ص ٣٢٥).

وقد ضرب السيد المسيح مثلاً توضيحيا لحالة الارتداد إلى حين وهو مثل الابن الضال، الذي ترك بيت أبيه وذهب إلى كورة الخنازير وقضى فيها زمان ارتداده، وأخيرا رجع إلى نفسه وعاد ثانية في توبة صادقة ليجد أباه في انتظاره مشتاقا ليعيد إليه رتبته الأولى. (١٥:١١-٢٤).

كان هذا عن النوع الأول من الارتداد:
فهو ارتداد إلى حين (أر٨:٤)
ليست نهايته الهلاك (مز٣٧:٢٤)
إذ يعقبه توبة وندامة المرتد (مز٥١)

دعنا إذاً نرى النوع الثاني من الارتداد وهو :-

(٢) ارتداد دائم:
هذا النوع من الارتداد يشير إليه الرب في تساؤل حزين على لسان أرميا النبى إذ يقول **"**لماذا ارتد هذا الشعب **ارتداداً دائما** ... أبوا أن يرجعوا ... ليس أحد يتوب عن شره**."** (أر٨:٥،٦).
ولإيضاح هذا النوع من الارتداد علينا أن نفهم أيضا: **جوهره ، ونهايته:**

(أ) جوهره: إن الارتداد الدائم هو حالة **رفض الإيمان بالمسيح واحتقاره،** وهو أيضا **ازدراء بروح النعمة وسقوط منها.**

يوضح ذلك بولس الرسول في قوله " قد **تبطلتم** عن المسيح ... **سقطتم** من النعمة." (غل٥:٤).

ويقول أيضا "كم عقابا أشر تظنون أنه يحسب مستحقا من **داس ابن الله** وحسب دم العهد الجديد الذي قدس به **دنسا** وازدرى بروح النعمة" (عب١٠:٢٩).
ويهوذا الرسول يقول "يحولون نعمة إلهنا إلى الدعارة، وينكرون السيد الوحيد الله وربنا يسوع المسيح" (يهوذا ٤).

لهذا يحذرنا بولس الرسول من خطر هاتين الحالتين فعن الحالة الأولى وهو رفض الإيمان يقول: "انظروا أيها الاخوة أن لا يكون في أحدكم قلب شرير **بعدم إيمان في الارتداد عن الله الحي.**" (عب٣:١٢).
وعن الحالة الثانية وهى السقوط من النعمة يقول: "ملاحظين لئلا يخيب أحد من نعمة الله." (عب١٢:١٥).

(ب) نهايته: نهاية الارتداد الدائم معروفة وهى الهلاك.
وقد وضح بولس الرسول ذلك بكل جلاء إذ قال عن قوم مرتدين. "كثيرين يسيرون ممن كنت أذكرهم لكم مراراً، والآن أذكرهم أيضا باكيا وهم أعداء صليب المسيح الذين نهايتهم الهلاك." (فى٣،١٩:١٨).

وبطرس الرسول يقول: "لأنه إذا كانوا بعدما هربوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح يرتبكون أيضا فيها فينغلبون، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل. لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البر من أنهم بعدما عرفوا **يرتدون** عن الوصية المقدسة المسلمة لهم قد أصابهم ما في المثل الصادق كلب عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة (أي طين) الحمأة (أي الوحل)." (٢بط٢:٢٠-٢٢).

فالارتداد الدائم إلى حياة الدنس واحتقار ابن الله والازدراء بروح النعمة، إن لم يعقبها توبة أو رجوع كما يقول أرميا النبي "أبوا أن يرجعوا ... ليس أحد يتوب عن شره." (أر٦،٨:٥). لابد أن يعقبها هلاك أبدى (نهايتهم الهلاك). (فى٣:١٩)، لأن السيد المسيح قال "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لو١٣: ٣).

والآن بعد هذا الإيضاح لفئات المؤمنين، وأنواع الارتداد نستطيع أن نجيب على السؤال الجوهري وهو:
هل يمكن أن يرتد المؤمن ويهلك؟
فنقول أن هناك فئتين من المؤمنين المرتدين ولكن نهايتهم ليست واحدة:-

(١) مؤمنون قد يرتدون ولكنهم يتوبون:
وهم الذين يرتدون إلى حين، فإذ يسقطون عن ضعف يبكون تائبين. أولئك هم المشبهون بالأرض الجيدة أصحاب القلوب المتجددة، والثمار المتكاثرة. السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح.

(٢) مؤمنون يرتدون ويهلكون:
وهم الذين يؤمنون إلى حين (لو٨:١٥). ويرتدون ارتدادا دائما (أر٦،٨:٥).
وإذ يحتقرون المسيح ويسقطون من النعمة لا يتوبون ولا يرجعون. أولئك هم المشبهون بالأرض المحجرة والمليئة بالأشواك.

أخي يامن قبلت الرب في حياتك تمسك ببداءة الثقة الثابتة إلى النهاية، كما يقول معلمنا بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين (عب٣:١٤). وإن كنت قد أقبلت إلى المسيح حقا فهو لا يخرجك خارجا.(يو٦:٣٧).

ملحوظة:
حيث أن الإنسان لا يعرف يقينا نوعية إيمانه إلا إذا وصل النهاية، لهذا ينبغي أن يحذر لئلا يسقط، كما قال الكتاب "من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط" (١كو١٠: ١٢)
ولهذا قال الكتاب "الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" (مت١٠: ٢٢)

أسباب الارتداد

نستطيع الآن أن نناقش أسباب سقوط المؤمن وارتداده حتى يمكننا أن نتفادى ذلك وأهم تلك الأسباب ما يأتـي:-

(١) الميل الداخلى للخطية :
وهو المعبر عنه (بالطبيعة القديمة). أو (الإنسان العتيق). أو (جسد الخطيـة) [رو٦:٦].

فبالرغم من أننا لبسنا الإنسان الجديد وأخذنا طبيعة جديدة في سر المعمودية إلا أن الإنسان العتيق أو الطبيعة القديمة لا تمحى نهائيا، بل تبقى مستترة في الجسد. ولهذا قال معلمنا بولس الرسول : "الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد." (غل٥:١٧). فالصراع الداخلي قائم بين جسد الخطية ومشتهياته وبين الروح الجديد الذي أخذناه واشتياقاته.

فلو أن جسد الخطية قد أميت تماما لما كان هناك صراع، ولما قال بولس الرسول "أقمع جسدي واستعبده" (١كو٩:٢٧). لهذا فان السبب الأول للارتداد هو عدم إخضاع جسد الخطية لمشيئة الروح. أو بمعنى آخر هو عدم قمع الذات. وتقيدها حتى لا تعود تسيطر عليك وتصبح مركز تفكيرك وحياتك فينطبق عليك قول بولس الرسول "لان الناس يكونوا محبين لأنفسهم ... متعظمين مستكبرين ... متصلفين محبين للذات دون محبة الله. لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها"(٢تى٣:١-٥) فداود ارتد لأنه اشتعل بالشهوة (٢صم١١: ٤). وشمشون ارتد لأنه استسلم لشهواته (قض١٦).

فأحذر يا أخي من العدو رقم (١) وهو "طبيعتك القديمة" لئلا تغافلك وتفترسك:

قصة:
استأنس هندي شبلاً، وعندما كبر اصبح أسدا أليفا ... وفي أحد الأيام اشتاق إلى طعم الدماء، فثارت طبيعته القديمة المفترسة وما كان من الهندي إلا أن أطلق عليه الرصاص ليتخلص من خطره. هكذا الأمر هو مع الطبيعة القديمة فهي لا تموت وإنما تقيد وتقمع ... فأحذر من خطرها لئلا تثور وتقودك إلى حياة الإثم ثانية.
والسبب الآخر للارتداد هو:

(٢) الذات:
وتظهر الذات بأساليب مختلفة مثل الكبرياء وحب المديح وعدم احتمال الذم والإهانة والأنانية والعطف على النفس ... الخ.
فأيوب ارتد بسبب ذاته إذ كان بارا في عيني نفسه. (أي٣٢: ١).
وملاك كنيسة لاودكية الذي في كبريائه حسب نفسه غنيا. (رؤ٣:١٧).

(٣) فتور المحبة :
إن علاقتنا مع الله مبنية على أساس الحب "الله محبة ومن يثبت في المحبة يثبت في الله" (١يو٤:١٦).

وحبنا لله مبنى على حبه لنا "نحن نحبه لأنه احبنا أولاً" (١يو٤:١٩). فعندما تعي عظم صنيع الرب إليك، وكيف أنه بذل ذاته على الصليب ليرفع عنك عقوبة خطيتك، وعندما تتذكر أنه لما وجدك ضعيفا أمام قوى الشر وعالم الإثم "أيدك بالقوة بروحه في الإنسان الباطن" (أف٣:١٦).

وعندما تذكر انه انطلق إلى السماء ليعد لك مكانا وسيأتـي أيضا ليأخذك حتى حيثما يكون تكون أنت أيضا معه (١تس٤:١٧).
كل هذا إذا وعيته تماما لا لتهب قلبك حبا لشخصه المبارك. وهذه هي الحياة الروحية ... حياة في محبة الله.

ولكن في اللحظة التي فيها تفتر المحبة بسبب نسيان ما عمله الرب من أجلك ... هنا يدب الفساد إلى قلبك ... لأنه لا بد وأن تكون قد دخلت إلى قلبك محبة أخرى قللت من شأن المحبة الأولى وأخمدت لهيب نار شوقها.

لهذا نجد الروح يوبخ ملاك كنيسة أفسس لارتداده موضحا علة هذا الارتداد بقوله: "إنك تركت محبتك الأولى فأذكر من أين سقط وتب"(رؤ٢،٥:٤).

وما كان ارتداد ديماس إلا نتيجة تسرب محبة العالم إلى قلبه فنزعت عواطف الحب المتجه نحو الله ولهذا كتب بولس الرسول موضحا ذلك بقوله: "ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر" (٢تى٤:١٠).

ولذلك قد حذر السيد المسيح من طغيان أي محبة أخرى خشية أن تقتلع المحبة الأولى الشخصية فتكون سببا في الارتداد إذ قال: "من أحب أبا أو أما اكثر مني فلا يستحقني. ومن أحب ابنا أو ابنة اكثر منى فلا يستحقني" (مت١٠:٣٧).

فأحذر يا أخي من تسرب أية محبة إلى قلبك سواء كانت لأهلك أو للعالم أو محبة لذاتك أو محبة عملك وأشغالك ... أو أية محبة أخرى تنقص من قيمة محبة الله في قلبك ...

اذكر دوما جراحات المحبة ... اذكر انشغال يسوع بك وعمله الآن من أجلك ... تطلع بعين الانتظار لمجيئه على السحاب بعد أن يكون قد أعد لك المكان ... فإن تذكرت ذلك لن تخمد نيران محبته من قلبك ... ولن يتطرق الارتداد إلى حياتك.

(٤) التـهاون:

هل تعرف يا أخي كيف سقط داود النبى في خطية الزنا مع امرأة أوريا الحثي؟ وما الأسباب التي قادته إلى تلك الخطية الشنيعة؟ إن السبب يا أخي يكمن في التهاون !!!

اسمع ماذا يقول الكتاب "وكان عند تمام السنة في وقت خروج الملوك أن داود أرسل يوآب وعبيده ... وأما داود فأقام في أورشليم ... وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم ... " (٢صم١١،٢:١).

هذه هي الخطوات التي قادت داود النبى والملك أن يسقط في خطية الزنا مع هذه المرأة ... ولعلك تكون قد رأيت تهاونه المتكرر. فقد تهاون أولا في الخروج مع الجيش للحرب إذ كان المفروض أن يقود هو جيشه لأنه كان وقت خروج الملك... أما داود فأرسل يوآب وعبيده وأقام هو في أورشليم !!!

هذا الأمر الذي لم يقبله أوريا نفسه الذي أخطأ داود مع امرأته، فعندما أراد داود أن يخفى خطيته أرسل وطلبه من الجيش ليضطجع مع امرأته حتى يظن أنها حبلت منه. ولكن أوريا يرفض بإصرار أن ينام في بيته في حين أن الجيش يحارب في الميدان. فيقول لداود الملك "إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء وأنا آتى إلى بيتي لآكل واشرب واضطجع مع امرأتي؟!! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر" (٢صم١١:١١).

تأمل يا أخي فإن هذا الجندي يأبى أن ينام في بيته بينما التابوت والشعب يحارب في الميدان، أما الملك فيتهاون ويقيم في أورشليم !!! ثم يا ليته أقام في أورشليم ليرفع يديه إلى العلي مصليا حتى يعطى الرب الجيش النصرة كما فعل موسى النبي في حرب عماليق. (خروج١٧:١١)، ولكنه ينام على سريره طوال النهار حتى المساء!!.

هذه هي المرة الثانية ليتهاون فيها إذ ينام حتى المساء ... إن نومه هذا يشبه نوم بطرس الذي وبخه عليه السيد المسيح قائلا: "يا سمعان أنت نائم ... أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة. اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة" (مر١٤،٣٨:٣٧).

وهكذا إذ تهاون داود في الصلاة والسهر سقط في التجربة فسقط في خطية الزنا ... .

ثم تهاون آخر سقط فيه داود النبى، فعندما قام عن سريره لم يقف للصلاة وإنما بلغ به الأمر أن يتهاون في ذلك ويخرج من حجرة نومه ليتمشى على سطح بيت الملك. (٢صم١١:٢).

أفبعد كل هذا التهاون ينجو داود من السقوط؟!. آه يا أخي من التهاون في حياتك ... فأنت تقيم في بيتك حيث يقتضي الأمر وجودك في ميدان الشهادة !! وليتك وأنت في بيتك تكون قائما في مخدع صلاتك بل تتهاون أيضا وتقضى الوقت نائما على سرير تهاونك!!

وعندما تقوم عن سرير نومك تتهاون أيضا فتخرج لتتمشى وتتنزه وتمتع جسدك...!!.

أفبعد كل هذا تريد أن تنتصر على التجارب وتنجو من السقوط؟!!!.
حذار يا مبارك من التهاون مع نفسك في القيام بعمل الرب والسهر لئلا ترتد إلى حياة الخطية ثانية.

(٥) الاستهانة :

لقد تكلمت عن التهاون في حياتك الروحية بأنه يقودك إلى الارتداد، وهنا أقول لك أن الاستهانة بالخطية تفسد حياتك الروحية وتردك أيضا إلى حياة الإثم.

لهذا نرى الروح القدس في نشيد الإنشاد يحذر من الاستهانة بالخطايا الصغيرة قائلا : "خذوا لنا الثعالب. الثعالب الصغار والمفسدة للكروم" (نش٢:١٥).وسليمان الحكيم يقول "الذباب الميت ينتن طيب العطار" (جا١٠: ١).

الواقع أن الإنسان بعدما يأخذ نعمة ويسير مع الرب يتحذر من الخطايا الكبيرة فيبتعد عن الزنا والسرقة والرشوة وما شابه ذلك من الخطايا الكبيرة ولكنه يستهين ببعض الخطايا الصغيرة ولا يدرى أنها إذا تسربت إلي قلبه يستفحل أمرها ويعسر عليه إخراجها لأنها تكون قد أفسدت حياته!.

فلماذا تستهين بالتبسط في أحاديثك والألفة مع الآخرين؟ إنه ثعلب صغير سيفقدك سلامك! ولماذا تستهين بالفكاهات المشبوهة وأسلوب الهزل في الكلام؟ إنه ثعلب صغير سيميت قلبك! لماذا تستهين بانتقاد الغير ومسك سيرتهم؟ إنه ثعلب صغير وليد الإدانة! لماذا تستهين بالإجابات الخادعة الماكرة؟ إنها ثعالب صغيرة أمها الكذب! لماذا تستهين بالغضب والنرفزة والكلام الجارح؟ إنه ثعلب صغير أبوه القتل! لماذا تستهين بالنظرات الشريرة وحب مجالس النساء؟ إنها ثعالب صغيرة وليدة الزنا! تأمل يا أخي كيف انحدر سليمان الملك ليعبد الأصنام تاركاً عبادة الرب.
يوضح الكتاب أن السبب الرئيسي في ذلك هو استهانة سليمان بالثعالب الصغار إذ يقول الكتاب "وأحب الملك سليمان نساء غريبة... من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم ... فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة... فأمالت نساؤه قلبه. وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخري... فذهب سليمان وراء عشتوروث آلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عين الرب.." (١مل١١: ١-٦).

هل كان أحد يظن أن سليمان النبى والملك الذي خصه الرب بشرف بناء هيكله ووهبه حكمة لم ينلها إنسان من قبله أو من بعده...

هل كان أحد يظن أنه يسقط في أشنع الخطايا وهى عبادة الأصنام وعمل الشر في عيني الرب ؟!!. قطعاً لا أحد يظن ذلك. وما كان هو نفسه يتوقع ذلك. ولكن الثعالب الصغار قد تسربت إلى حياته واستهان هو بها في أول الأمر فأودت به إلى هذا الحضيض. فقد استهان أولا بثعلب حب النساء الغريبات. (١مل١١:١). ثم كبر هذا

الثعلب قليلا فأباح لنفسه أن يكسر وصية الرب التي تمنع الزواج بالنساء الغريبة وأتخذ منهن نساء لنفسه. (١مل١١:٢). ثم كبر هذا الثعلب أيضا فاحتلت هؤلاء النساء مركز الحب في قلب سليمان "فأمالت نساؤه قلبه" (١مل١١:٣). ثم استفحل هذا الثعلب وعسر على سليمان إخراجه إذ ضعف أمام سلطانه فسقط في عبادة الأصنام. (١مل٥،١١:٤). ثم انقلب الثعلب إلى أسد مفترس فتك به "فعمل سليمان الشر في عيني الرب" (١مل١١:٦).

قصة:

انقطعت المياه عن إحدى القرى. وعندما حضر العمال لفحص توصيلات المواسير، وجدوا ضفدعة كبيرة قد سدت إحدى الصمامات، وقد أدركوا أن هذه الضفدعة الكبيرة قد تسربت إلى مواسير المياه الرفيعة يوم أن كانت وليدة صغيرة، وعندما كبرت وزاد حجمها سدت هذا الصمام فمنع الماء عن القرية.

هكذا الحال معك يا أخي فتدخل في حياتك خطية صغيرة وتستهين بها ثم تكبر هذه الخطية في قلبك حتى تسد صمامات النعمة عنك فتجف حياتك الروحية.

ألا تدرى لماذا جفت تعزياتك في الصلاة؟
ألا تدرى لماذا خمدت نيران غيرتك في الخدمة؟
ألا تدرى لماذا فترت محبتك الأولى؟
ابحث عن الثعالب. الثعالب الصغار المفسدة للكروم.
ابحث عن الضفادع التي سدت صمامات النعمة عنك.

(٦) صغر النفس :

ومن الأسباب التي تقود إلى الارتداد حاله تسمى صغر النفس تنتاب المؤمن عقب سقوطه في إحدى الخطايا التي أقلع عنها. فيشعر بالفشل والخيبة وفقد الثقة في إمكانية الاستمرار في حياة القداسة. وربما قاده هذا إلى اليأس والارتداد إلى حياة الشر والنجاسة.

فلا تدع هذه المشاعر تتملك على قلبك لأنها وسيلة من وسائل إبليس الجهنمية ليفقدك سلامك ويفصلك عن إلهك ويقطع رجاءك.

فهوذا داود النبى يكشف هذه الحيلة الشيطانية فيقول: "كثيرون قائمون على. كثيرون يقولون لنفسي ليس له خلاص بإلهه. أما أنت يارب فترس لي. مجدي ورافع رأسي" (مز٣:١-٣).

فإذ اكتشف داود أن الشياطين يحاولون أن يفقدوه الثقة في الخلاص بإلهه نراه يؤكد أن الرب ناصره، مجده ورافع رأسه على أعدائه.

ويوحنا الحبيب يكتب في رسالته قائلا: يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا. وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا." (١يو٢،٢:١).

فهو يوضح إنه إن كان قصد الرب منا هو أن لا نخطئ، إلا أنه إذا أخطأ أحد فليس معنى هذا أنه يفقد الرجاء ويفقد الإيمان بل ليتقدم أيضا إلى الله في شفاعة دم السيد المسيح الذي يكفر كل خطية "دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية" (١يو١:٧). "وإن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل أثم." (١يو١:٩).

فقل للخطية يا أخي بلغة الثقة في محبة الرب والإيمان في قدرته المخلصة. "لا تشمتي بي يا عدوتي. إذا سقطت أقوم." (ميخا٧:٨).

وما اجمل ما صوره هذا النبى (ميخا) في هذا الصدد إذ قال: "لكنني أراقب الرب أصبر لإله خلاصي. يسمعني إلهي. لا تشمتي بي يا عدوتي. إذا سقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي. احتمل غضب الرب لأني أخطأت إليه حتى يقيم دعواي ويجرى حقي. سيخرجني إلى النور سأنظر بره. وترى عدوتي فيغطيها الخذي القائلة لي أين هو الرب إلهك. (ميخا٧:٧-١٠).

فتراه وهو يعبر عن شعور المؤمن إذا سقط:

يصور **انتظاره** للرب (أراقب الرب).

في **صبر** (أصبر لإله خلاصي).

وفى **إيمان** وثقة باستجابة صلاته (يسمعني إلهي)،

وفى **عدم يأس** (لا تشمتي بي يا عدوتي. إذا سقطت أقوم. إذا جلست في الظلمة فالرب نور لي).

وفي **رجاء** ثابت (سيخرجني إلى النور)، وفي **اتكال** على بر الله (سأنظر بره)،

وفي **نصرة** مؤكدة (وترى عدوتي فيغطيها الخذي القائلة لي أين هو الرب إلهك).

ولهذا يقول داود النبى "من قبل الرب تتثبت خطوات الإنسان ... إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسند يده" (مز٣٧،٢٤:٢٣).

فأحذر يا أخي من خطر صغر النفس لأنها حفرة مغطاة قرارها في أعماق الهاوية.

(٧) الاكتفاء والتقاعد:

وثمة سبب آخر من أسباب الارتداد هو الاكتفاء والتقاعد. عندما خرج بنو إسرائيل من أرض مصر وخلصوا من عبودية فرعون وسلطانه، ساروا في البرية وعند جبل حوريب رأوا مجد الرب واخذوا الوصايا العشر ... واكتفى الشعب بهذه الاختبارات وتقاعدوا في سفح هذا الجبل ونسوا أرض الموعد. لهذا نبههم الرب إلى خطورة هذا الأمر بقوله. "كفاكم قعود في هذا الجبل ... تحولوا وارتحلوا ... ادخلوا وتملكوا الأرض التي اقسم الرب لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم." (تث١:٦-٧).

أخشى يا أخي أن تكون قد وصلت في حياتك الروحية إلى سن التقاعد ومرحلة الاكتفاء باختبارات حوريب ونسيت أرض الموعد كنعان السماوية.

اسمع ما قاله بولس الرسول الذي تجاوز اختبارات حوريب فبلغ إلى السماء الثالثة وبالرغم من هذا يقول "أيها الاخوة أنا لست أحسب نفسي أنى قد أدركت. ولكنى أفعل شيئا واحدا إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحوا الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع. فليفتكر هذا جميع الكاملين منا وإن افتكرتم شيئا بخلافه فالله سيعلن لكم هذا أيضا." (فى٣:١٣-١٥).

فبولس الرسول رغم الإعلانات والمناظر الإلهية التي تمتع بها ورغم الاختبارات العميقة التي حصل عليها يقول "ليس أنى قد نلت أو صرت كاملاً... أنا لست أحسب نفسي أنى قد أدركت" (فى٣،١٣:١٢).

فهو لا يعتبر نفسه أنه قد أدرك الكمال حتى لا يكتفي بهذا ويتقاعد عن النمو بل نراه يقول "ولكنى أفعل شيئا واحدا إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام." (فى٣:١٤). فينسى الاختبارات الروحية التي نالها وكابن مولود حديثا يسعى إلى اختبارات أخرى جديده.

وأنت يا من لم تصل إلى ما وصل إليه معلمك بولس الرسول وتكتفي بما نلته وتعتبر نفسك أنك قد أدركت وصرت كاملا وتتقاعد عند هذا الحد وتنضم إلى جماعة (شيوخ إسرائيل)!!

اعلم يا أخي أنه لا توجد حالة (توقف) في الحياة الروحية ولا توجد حدود لأعماق محبة الله فهي نهر سباحة لا يعبر ...

لهذا فإما أنك تتقدم في اختباراتك الروحية كل يوم إلى قدام وإما أنك تتراجع إلى الوراء !!!.

آه أيها الكامل في عيني نفسك كفاك قعود في هذا الجبل تحول وارتحل لتمتلك اختبارات اكثر ...

اطلب من الرب الروح أن ينقلك من مجد إلى مجد كما قال معلمنا بولس الرسول: "ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح." (٢كو٣:١٨).

تأديبات الارتداد

هل تظن أيها العزيز انك إذا ارتديت تنجو من تأديبات الله ؟ كلا فعصا محبة الله لن تفارقك حتى ترجع وتتوب "لأن الذي يحبه الرب يؤدبه" (أم٣:١٢).
ويوضح لنا الكتاب معاملات الله مع المرتدين فإليك بعضها:-

(١) الفضيحة :

تأمل ما حدث لداود النبى بعد أن أخطأ في الخفاء مع بتشبع امرأة أوريا الحثي، فأرسل الرب له ناثان النبى قائلا: هاأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضجع مع نسائك في عين هذه الشمس، لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس".(٢صم١٢،١٢:١١).

فعندما أراد الرب أن يؤدب داود على ارتداده كان ذلك عن طريق فضح أمره، وقد تم ذلك فعلاً إذ قام أبشالوم ابنه بالثورة ضد أبيه وطرده من عرشه ثم "نصب خيمة على السطح ودخل إلى سرارى أبيه أمام جميع إسرائيل." (٢صم١٦،٢:٢١).

وتأمل أيضا تأديب الرب لشمشون. فقد ذهب إلى بيت دليله وتمرغ في الخطية هناك وإذا بعصي الرب تهوى على رأسه وتفقأ عينيه وتنزع كرامته فيصير هزءة أمام الجميع. (قض١٦).

تحذر يا أخي من الارتداد المستتر لئلا يفضح الرب أمرك ويكشف للجميع سرك "لأنه ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفي لن يعرف." (مت١٠:٢٦).

وإن كان الرب لم يكشف أمرك إلى الآن ويفضحه فلا تتمادى في شرك لأن طول أناة الله عليك إنما هي من معاملاته اللطيفة نحوك تاركا الفرصة لك لكي تعود وترجع إليه وإلا أدبك بمعاملاته المخيفة!!
" أم تشتهين بغني لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله يقتادك إلى التوبة ". (رو٢:٤).

(٢) المرض:

والمرض الذي يسمح به الله للمؤمن المرتد هو وسيله من وسائل التأديب ليضع شكائم في فكيه ليرجعه إلى حياة النعمة ثانية.
هذا ما حدث مع أيوب الصابر الذي شهد له الرب أنه : "رجل كامل ومستقيم يتقى الله ويحيد عن الشر." (أى١:٨).
ولكن أيوب هذا كان به عيب خطير أو قل عامل من عوامل الارتداد وهو (الذات) أو الشعور ببره الذاتي. يتضح ذلك من قوله: "يا ليتني كما في الشهور السالفة ... إذ غسلت خطواتي، باللبن والصخر سكب لي جداول زيت ... كنت أخرج إلى الباب في القرية وأهيئ في الساحة مجلسي. رآني الغلمان فاختبأوا والأشياخ قاموا ووقفوا. العظماء أمسكوا عن الكلام ووضعوا أيديهم على أفواههم... لأن الأذن سمعت فطوبتني والعين رأت فشهدت لي. لأني أنقذت المسكين المستغيث واليتيم ولا معين له، لبست البر فكساني كجبة وعمامة كان عدلي. كنت عيونا للعمي وأرجلا للعرج. أب أنا للفقراء ودعوى لم أعرفها فحصت عنها ... كرامتي بقيت حديثة عندي ... لي سمعوا وانتظروا ونصتوا عند مشورتي ... كنت أجلس رأسا وأسكن كملك في جيش." (أى٢٩:١-٢٥).
ويقول الكتاب تعليقا على هذا الكلام "فكف هؤلاء الرجال الثلاثة (وهم أصحابه) عن مجاوبة أيوب لكونه بارا في عيني نفسه." (أى٣٢:١). ومن أجل هذا سمح الرب بالمرض لأيوب ليؤدبه وقد أوضح هذه الحقيقة أحد أصدقاء أيوب إذ قال له "أيضا يؤدب بالوجع على مضجعه." (أى٣٣:١٩).

وارميا النبى يقول في مراثيه "أبلى لحمى وجلدي. كسر عظامي ... إنه من احسانات الرب أننا لم نفن لأن مراحمه لا تزول... جيد أن ينتظر الإنسان ويتوقع بسكوت خلاص الرب ... لماذا يشتكى الإنسان ... من قصاص خطاياه. لنفحص طرقنا ونمتحنها ونرجع إلى الرب." (مراثي ارميا٤٠،٣٩،٢٦،٢٢،٣:٤٠).

أخي المرتد ألا تعلم أن المرض الذي أصابك إنما هو عصا تأديب من الرب؟ ألا تمتحن نفسك وترجع إليه فيرحمك؟ ليتك تقول مع هوشع النبى "هلم نرجع إلى الرب لأنه هو افترس فيشفينا. ضرب فيجبرنا." (هو٦:١).

(٣) الضيـق :

وهذه وسيلة أخرى من وسائل معاملات الرب للمرتدين. يتضح ذلك من معاملاته مع بنى إسرائيل الذين أصعدهم من أرض مصر وأتى بهم إلى أرض كنعان. فعندما كانوا يرتدون عنه كان يدفعهم إلى أيدي أعدائهم ليضايقونهم حتى يرجعوا إلى الرب إلههم. فقد ظهر ملاك الرب لهم في بوكيم وقال "قد أصعدتكم من مصر وأتيت بكم إلى الأرض التي أقسمت لآبائكم وقلت لا أنكث عهدي معكم إلى الأبد. وأنتم فلا تقطعوا عهدا مع سكان هذه الأرض. اهدموا مذابحهم. ولم تسمعوا لصوتي. فماذا عملتم ؟ فقلت أيضا لا أطردهم من أمامكم بل يكونون لكم مضايقين وتكون آلهتهم لكم شركا ... فرفعوا صوتهم وبكوا ... هناك للرب." (قض٢:١-٥).

فهذه سياسة إلهية حكيمة إذ يبقى الرب على الشعوب الأممية حتى يكونوا عصا تأديب لبنى إسرائيل إذا ما ارتدوا.

وتتضح هذه الحقيقة من قول الكتاب "وفعل بنو إسرائيل الشر في عينـي الرب ... وتركوا الرب إله آبائهم ... وأغاظوا الرب ... فحمى غضب الرب على إسرائيل **فدفعهم بأيدي ناهبين نهبوهم**. وباعهم بيد أعدائهم ... فضاق بهم الأمر جدا. وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم ... وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم فحمى غضب الرب على إسرائيل وقال ... لا أعود أطرد إنسانا من أمامهم من الأمم ... لكي امتحن بهم إسرائيل." (قض٢:١١-٢٣).

هذه معاملات الله مع بنى إسرائيل فعندما كانوا يرتدون عنه كان يدفعهم لأيدي أعدائهم فيضايقونهم حتى يرجعوا عن ضلالهم.

وهكذا الأمر أيضا مع المؤمنين إذا ما ارتدوا فإن الله يدفعهم إلى أيدي أعدائهم (الشياطين) لتأديبهم ومضايقتهم. هذا هو ما وضحه معلمنا بولس الرسول لأهل كورنثوس بالنسبة لذلك المؤمن الذي ارتد وتزوج بامرأة أبيه فيقول لهم "قد حكمت ... في الذي فعل هذا هكذا باسم ربنا يسوع المسيح ... أن يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكلى تخلص الروح في يوم الرب يسوع." (١كو٥:٥).

وقد بلغ الأمر في معاملات الله لبنى إسرائيل عندما عصوا وارتدوا أن سمح بأن يسبوا إلى بابل حيث أذلهم هناك ... وهاك صورة يرسمها أرميا النبى الباكي لأحوالهم في ذلك الوقت. فيقول :

"كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب؟
كيف صارت كأرملة، العظيمة بين الأمم؟
تبكى في الليل بكاء ودموعها على خديها!
ليس لها معزى من كل محبيها!
قد سبيت يهوذا من المذلة ومن كثرة العبودية!
كهنتها يتنهدون. عذاراها مذللة وهى في مرارة لأن الرب قد أذلها لأجل كثرة ذنوبها" (مراثي أرميا١:١-٥).

وتأمل قوله "لأن الرب قد أذلها لأجل كثرة ذنوبها" فالرب يسمح بالمذلة تأديبا على كثرة الذنوب حتى يرجع الخاطئ إلى نفسه ثم إلى إلهه.

ولهذا قال داود النبى "قبل أن أذلل أنا ضللت ... خير لي انك أذللتني. (مز ١١٩،٧١:٦٧).

وهذه هي السياسة التي أتبعها الرب مع ملك إسرائيل الشرير منسى الذي "أكثر عمل الشر في عينـي الرب لإغاظته" (٢أخ٣٣:٦). وقد كلمه الرب بلطف فلم يصغ، فجلب الرب عليه جنود ملك أشور فأخذوه بخزامة وقيدوه بسلاسل وذهبوا به إلى بابل. وهناك يقول الكتاب "لما تضايق طلب وجه الرب إلهه وتواضع جدا. وصلى إليه فاستجاب له وسمع تضرعه ورده إلى أورشليم إلى مملكته فعلم منسى أن الرب هو الله." (٢أخ١٣،٣٣:١٢).

هل تشعر يا أخي أن الرب قد أذلك وترك الأعداء يضايقونك؟ لابد وأنك قد انحرفت وارتديت لهذا سمح الله بتأديبك حتى يرد الرب سبى نفسك ويعيدك إلى رتبتك الأولى.

علاج الارتداد

"أنا اشفي إرتدادهم ..." (هو ١٤:٤).

إن كنت يا أخي واحدا من المرتديين وقد تركت محبتك الأولى، وثقلت عليك يد الرب، وتضايقت جدا ... لا تغلظ الرقبة، ولا تقسِّ القلب بالأكثر، بل تعال إلى حبيبك ليجبر كسر قلبك الحزين.
ونضع أمامك ما عينه الروح علاجا للارتداد :-

(١) أذكر خطيتك:
فيقول الوحي للخادم المرتد "اذكر من أين سقطت" (رؤ٢:٥).
افحص نفسك بتدقيق لتعرف خطيتك "اعرفي إثمك أنك إلى الرب إلهك أذنبت ... ولصوتي لم تسمعوا يقول الرب." (إر٣:١٣).

آه يا أخي المبارك فطالما قلبك متقسيا فلا فائدة. إن لم تكن لك الحساسية الروحية لتشعر بإثمك فلا أمل في علاجك.

راجع حياتك وانظر إن كان سور الطهارة في حياتك قد تهدم وتطرقت الشهوة إلى قلبك حتى أقامت لها وكرا هناك، واستعبدتك من جديد... استيقظ يا شمشون... أيها البطل المرتد قبل أن تقتلك دليله بسموم زناها.

امتحن نفسك يا أخي لئلا تكون قد سقطت في شراك الذات والكبرياء ... لئلا يكون قد تسرب إلى قلبك من خلال كلمات المديح التي تحب سماعها بل أصبح فيك مرضا خطيرا يهدد حياتك فتحزن عندما يقصر أحد في إطرائك، وتكتئب عندما ينتقدك أو يذمك أحد. وتثور جدا عندما يجرح كرامتك إنسان... وتحتقر الغير وتنتقد الآخرين... وتعود إلى ما كنت عليه قبلما تعرفت على يسوع!

افحص نفسك يا أخي لئلا تكون قد انشغلت بأي شئ آخر ونسيت يسوع... يسوع الذي أحببته وسلمت حياتك له وذابت ذاتك فيه وسبى قلبك في حبه ورحت تنادى بكم صنع بك ورحمك ... انظر لئلا تكون الخدمة قد شغلتك فنسيت محبتك الأولى ... وأصبحت خدمتك بلا محور ارتكاز منذ أن رفعت يسوع منها ... بل أخشى أيضا أن تكون ذاتك قد حلت محل يسوع وأصبحت هي محور ارتكاز خدمتك... فتنتقد خدمة هذا وتحطم خدمة ذاك لكي تعلن للملأ أن خدمتك فقط هي الناجحة.
امتحن نفسك وانظر من أين سقطت ربما تهاونك وعدم تدقيقك في أحاديثك وفي تصرفاتك وفي معاملاتك؟ ربما عدم طاعتك لروح الله! وربما عدم مواظبتك على وسائط النعمة معتبرا أنها تخص المبتدئين أما أنت فقد استغنيت ولا حاجة لك بعد إلى شئ !!!

افحص ذاتك لئلا تكون محبة العالم قد تطرقت إلى قلبك! انظر لئلا تكون محبة المال قد احتلت مركز تفكيرك ... !!

ليتك الآن يا أخي تجلس أمام الله وتستعرض حياتك في أمانة لتتعرف على سبب ارتدادك ... قبل أن يأتي الرب ويزحزح منارتك من مكانها. (رؤ٢:٥).

(٢) اندم وتب:
فقد رسم الروح طريق العودة من سبي الخطية إذ قال "اذكر من أين سقطت وتب" (رؤ٢:٥).

فأيوب عندما وبخه الرب وعرف خطيته تاب نادما وقال "لذلك أرفض (نفسي) وأندم في التراب والرماد" (أى٤٢:٦). فرد الرب سبيه إذ شفاه من أمراضه وعوضه عن كل ما كان له.

وداود النبى إذ أظهر له الرب خطيته على فم ناثان النبى نراه يتوب نائحا إذ قال "قد أخطأت إلى الرب" (٢صم١٢:١٣).فيسمع في الحال قبول التوبة "والرب أيضا قد نقل عنك خطيتك." (٢صم١٢:١٣).

وبطرس الرسول الذي بكى بكاء مرا عندما التفت الرب إليه عقب أن أنكره ثلاث مرات، نرى الرب يعيده ثانية إلى حقل الخدمة بثلاث تأكيدات قائلا له "يا سمعان بن يونا أتحبني أكثر من هؤلاء ... ارع خرافي" (يو ٢١: ١٥-١٧).

فيا أخي المرتد إن كنت قد تعرفت على سبب ارتدادك وتحرك الروح في داخلك وبكتك على فتور محبتك وعودتك إلى كورة الخنازير، اسلك إذن نفس الطريق الذي سلكته أولا عندما أتيت إلى أبيك نادما تائبا وهو مستعد أن يقبلك.

(٣) أذكر محبة الله الفائقة:

أخشى يا أخي أن ما يبعدك الآن عن الله ويعمل على إبقائك في حياة الارتداد هو شعورك بأنك قد أخطأت إلى الرب وعوجت المستقيم أمامه وتحول هذا الشعور إلى رعب من مقابلة الرب وإلى ظنون خادعه بأن الرب قد رفضك ولن يغفر لك ... ولكن:

* هل تظن أن محبة الله متغيرة ؟ تارة يحبك وتارة يبغضك ! أليس هو إله غير متغير؟ فكيف تكون محبته متغيرة ؟! أليس هو القائل "محبة أبدية أحببتك من أجل ذلك أدمت لك الرحمة" (إر ٣١: ٣).

فاذكر هذا يا أخي ولا تتباعد عمن أحبك محبة أبدية فأدام لك الرحمة ... ثم:

* هل محبة الله متقلبة ؟ عندما تكون سائرا معه يحبك وعندما تبتعد عنه يبغضك ! أليس هو مكتوب عنه "إن كنا غير أمناء فهو يبقى أمينا." (٢تى ٢: ١٣).

لهذا كتب بولس الرسول قائلا "فماذا. إن كان قوم لم يكونوا أمناء أفلعل عدم أمانتهم يبطل أمانة الله ؟ حاشا" (رو ٣: ٣).

فاذكر يا أخي ثبات محبة الله ومشاعره من نحوك وأمانته في مواعيده وحبه لك ... اذكر هذا واقبل إليه ... ثم:

* هل محبة الله محدودة ؟ فلا تستطيع أن تغفر لنا إلا لحدود معينه ! وإن زادت الخطايا عن هذه الحدود عجزت محبة الله عن الغفران؟!

اسمع ما قاله رب المجد عندما "تقدم إليه بطرس وقال يارب كم مرة يخطئ إلى أخي وأنا أغفر له. هل إلى سبع مرات ؟ قال له يسوع : لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات" (مت ١٨: ٢١، ٢٢).

فالرب يطالبنا بأن نغفر لاخوتنا (٧ × ٧٠ = أي ٤٩٠ مرة) في اليوم ونحن بشر محدودون. فكم مرة يغفر لنا وهو الإله غير المحدود؟ لا شك أنه غفران غير محدود صادر عن حب غير محدود!!

فلماذا تيأس من مراحم الله يا أخي؟ وهو قد "وضع عليه إثم جميعنا" (اش ٥٣: ٦) وقد صار "تأديب سلامنا عليه وبجراحاته شفينا" (اش ٥٣: ٥).

فارجع إلى من فداك وأحبك لأنه لا زال فاتحا ذراعيه ليقبلك متغاضيا عن كل ما صدر منك ... هل تأتى ؟!

وأخيرا أضع أمامك حديث الرب لإرميا ليبلغه لأمثالك: "وتقول لهم هكذا قال الرب : هل يسقطون ولا يقومون. أو يرتد أحد ولا يرجع. فلماذا ارتد هذا الشعب ... ارتدادا دائما ... أبو أن يرجعوا ... ليس أحد يتوب عن شره ؟!"

أخي كم أخشى أن تكون كواحد من هؤلاء فإن سقطت لا تريد أن تقوم وإذا ارتديت لا تريد أن ترجع ... وإن أخطأت لا تريد أن تتوب.

الرب في انتظارك لترجع إليه ... قم فتخلص.

حتمية الجهاد الروحي

" جاهد جهاد الإيمان الحسن وامسك بالحياة الأبدية "
(١تى٦:١٢)

الفصل الأول:- ضرورة الجهاد الروحي.
الفصل الثاني:- مفهوم الجهاد الروحي.
الفصل الثالث:- عناصر الجهاد الروحي.
الفصل الرابع:- ميدان الجهاد الروحي.

مقدمة

رأيت أيها الأخ المبارك كيف انك معرض للسقوط، لهذا وجب أن تتمم خلاصك بخوف ورعدة.

وما طريق إتمام الخلاص سوى الجهاد القانوني المؤيد بالنعمة كما يوضحه لنا الكتاب المقدس ويشهد له الجميع وفي هذا الباب نعرض لك ما يوضح ذلك.

الفصل الأول

ضرورة الجهاد الروحي

١- شهادة الكتاب المقدس
٢- شهادة آباء الكنيسة
٣- شهادة مشاهير البروتستانت

مـدخـل

ظن البعض أنه لا ضرورة للجهاد مطلقا في حياة المؤمن، فحادوا عن جادة الصواب. فإن هذا الظن في منتهى الخطورة على حياتهم الإيمانية لأنه يتعارض مع روح الكتاب ويناقض الحقيقة التي لمسها رجال الله المختبرون.

وحتى لا تفقد إكليلك يا أخي أضع أمامك الأدلة التي توضح لك ضرورة الجهاد من واقع شهادة الكتاب المقدس. وشهادة آباء الكنيسة وشهادة مشاهير البروتستانت أيضاً.

أولا: شـهادة الكتـاب:

اهتم الكتاب المقدس بإبراز ضرورة الجهاد في مواضيع كثيرة نقتصر على الآتي:-

* فبولس الرسول يوصي تلميذه تيموثاوس قائلا "جاهد جهاد الإيمان الحسن وامسك بالحياة الأبدية التي إليها دعيت"(١تى٦:١٢). وحتى لا يعترض أحد بأن الجهاد المقصود هنا هو الجهاد في الخدمة أقول أن هذه الوصية جاءت تالية لوصية خاصة بحياة تيموثاوس الروحية إذ يقول له في الآية السابقة مباشرة "أما أنت يا إنسان الله فاهرب من هذا واتبع البر والتقوى والإيمان والمحبة والصبر والوداعة"(١تى٦:١١).

فبولس الرسول يقول بلسان الوحي (جاهد) وصية صريحة تماما مثل وصية (توبوا) فليس فيها مجال للاختيار وإنما هي وصية لازمة للتنفيذ.

* ثم يعود بولس الرسول يؤكد لتيموثاوس ضرورة الجهاد فيقول عن نفسه "قد جاهدت الجهاد الحسن أكملت السعي حفظت الإيمان أخيرا قد وضع لي إكليل البر"(٢تى٤:٧).

ويتضح فعلا جهاد هذا الرسول من قوله "أقمع جسدي واستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضا."(١كو٩:٢٧).

* ولهذا فهو يوصي أهل كورنثوس بالجهاد قائلا "هكذا اركضوا لكي تنالوا. وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شئ" (١كو٢٥،٩:٢٤).

* ويوصي العبرانيين أيضا بذلك قائلا "لنطرح كل ثقل والخطية المحيطة بنا بسهولة ولنحاصر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكملة يسوع" (عب١٢،٢:١). وفي قوله "ولنحاضر **بالصبر في الجهاد**" نص صريح بضرورة الجهاد **...**

* لذلك نراه يوبخهم على عدم الصبر في الجهاد حتى الموت قائلا: "لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية"(عب١٢:٤). وفي قوله **"مجاهدين ضد الخطية"** قد وضح اتجاه الجهاد أنه ضد الخطية فلم يدع مجالا للشك بضرورة الجهاد ضد الخطية.

* وبطرس الرسول أيضا يتكلم عن ضرورة الجهاد فيقول "لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الأخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين لأنكم إذا فعلتم ذلك لا تزلوا أبدا."(٢بط١:١٠). فهو ينبههم ويحثهم على ضرورة الاجتهاد للمحافظة على الدعوة والاختيار حتى لا يسقطون ويحرموا من الملكوت.

* ولعل بولس الرسول قد أدرك بروح النبوة ما سيصيب الجهاد من إهمال أو من سوء فهم وتطبيق، لهذا يحذر المؤمنين قائلا: "إن كان أحد يجاهد لا يكلل إن لم يجاهد قانونيا." (٢تى٢:٥).

فقوله هذا يرينا أنه يتكلم عن الجهاد كقضية مسلم بها لا تحتاج إلى جدال أو نقاش أو إثبات وإنما الذي يحتاج إلى توضيح في موضوع الجهاد هو نوع الجهاد نفسه فلا بد أن يكون جهادا قانونيا.

ثانيا: شـهادة آباء الكنيـسة

*** يقول مار إسحاق السريانى:**
"محبو الراحة لا يحل فيهم روح الله بل الشيطان. يا بنى لا تمسك الرياح في كفك أعنى الأمانة (أي الإيمان) بلا عمل وجهاد".

*** الأب يوحنا:** "علينا أن لا نقف كسالى حتى ولو ساعة واحدة، لأن في ساعات غفلتنا وتوانينا يأتي العدو خلسة وبغيرة حادة يرمى بذار الزوان. [وفيما الناس نياما جاء عدوه وزرع زوانا في وسط الحنطة] (مت١٣:٢٥).

*** القديس أوغسطينوس:** "المعمودية تغسل كل الخطايا عامة سواء بالفعل أو بالقول أ, بالفكر. أصلية كانت أو فعلية، بمعرفة أو بغير معرفة.
ولكن لا تنـزع الضعف البشرى الذي يظل يقاومه المتجدد في جهاده الحسن". **(N. &P. Frs. 1st ser. V P. 404.)**

*** وقال أيضا:** "لكي نهرب من إطاعة الخطية يجب أن نجاهد في صراع يومي دائم ضد الميول الدنسة غير اللائقة". **[Ibid. P 136.]**

*** ومن أقوله أيضاً:** "في جهادنا الحاضر، قد ارتدينا ثوب البر الذي أخذناه بالأيمان وارتديناه كدرع ... فرداؤنا في الحاضر هو بلا شك رداء حرب لا حلة سلام".
[1 bid P.168]

ثالثا: شـهادة مشاهير البروتستـانت

وإن كان فئات البروتستانت ينكرون الجهاد، لكننا نرى أن مشاهيراً منهم يشهدون للجهاد:

(١) شهادة د. ل. مودى:
قال "عندما تجددت حديثا سقطت في خطأ كبير، إذ ظننت أن الحرب قد انتهت، وإنني قد حصلت على النصر والغلبة وأصبح الإكليل في قبضتي. وظننت أن الأشياء العتيقة قد مضت وأن الكل قد صار جديدا. وظننت أن طبيعتي القديمة الفاسدة التي ورثتها من آدم الأول قد ماتت وانتهى أمرها. ولكن بعد مضى عدة أشهر في خدمة المسيح، وجدت أن التجديد ما كان إلا بمثابة تقييد أسمى ضمن قوى الجيش العاملة فحسب، فالمعركة ما تزال قائمة على الأبواب، ولكي أحصل على الإكليل **يجب على أن أجاهد وأحارب من أجله**."
(The Overcoming Life. By Moody P.5.)

ثم أكمل حديثه قائلا: "ويوجد عدد كبير من المسيحيين يقعون في نفس الخطأ فيظنون أن المعركة قد انتهت وأن النصر قد أحرز. واعتقدوا أن ما عليهم ألا أن يخلعوا المجاديف ويلقوا بها في أسفل الزورق، وعلى التيار أن يحملهم إلى محيط محبة الله الأبدية. ولكن الحقيقة هي أننا لا بد أن نخترق التيار. فنحن محتاجين **أن نتعلم من السهر ومن الحرب لنحصل على الغلبة والانتصار. فالمعركة لم تنتهي بعد وإنما قد بدأت الآن وما الحياة المسيحية إلا حياة جهاد وصراع وحرب. وبقدر السرعة في فهم هذه الحقيقة بقدر ما تكون الفائدة أعظم"**
(The Overcoming Life P.7 Moody Press)

واعتقد أن هذا الكلام لا يحتاج إلى تعليق لشدة وضوحه. فاقرأه ثانية لترى تأكيد الرجل لضرورة الجهاد لإتمام الخلاص.

(٢) شـهادة متى هنري:

قال " أو ليست مسيحيتنا هي ديانة **الحرب والجهاد؟!** بلى، فنحن في نضال دائم مع قوات الظلمة المعادية، ومع كثير من الأعداء الذين يحاولون إبعادنا عن الرب وعن مجد السماء. ونحن لنا أعداء يجب أن نحاربهم، ولنا قائد نخضع لقيادته، ولنا راية نحارب من خلفها، ولنا قواعد حربية معينة بها نضبط أنفسنا."

(Metthew Henry's Commentary Vol. v1 P. 718.)

وقال أيضا " **إن الحرب الروحية ضرورية** ... فنحن نحارب من أجل أنفسنا وحياتنا، لهذا يجب أن نكون صابرين وثابتين **...** فكل مسيحي قد انضم تحت لواء المسيح **لا بد وأن يجاهد ضد الخطية وضد التعاليم الفاسدة والأعمال الشريرة والعادات الدنسة** سواء في نفسه أم في الآخرين."

(Matthew Henrys Commentary Vol. v1 P.955.)

ولعلك ترى توضيحه ضرورة الجهاد ضد الخطية داخل نفسك أولا...

(٣) شـهادة ف.ب. ماير:

قال " قد يسألني شخص : هل أنت مخلص؟ فأجيبه : لقد خلصت عندما مات المسيح عني، وسأخلص عندما يقوم جسدي. ولكنني في كل الوقت أتمم خلاصي. آه. هل أنت تتمم خلاصك؟" (كتاب حياة الذات ص ٧٠).

وقد قال أيضا "يمكن القول أن الخلاص قد تم. ويمكن القول أيضا إن عملية الإتمام جارية لقد تم عندما مات المسيح. ومع ذلك فإنه جار إتمامه بالروح القدس في قلوبنا."

ويكمل قائلاً:

"الخلاص جعالة عظمي، لها نهايتان، النهاية الأولى على الصليب حيث خلصنا الرب يسوع المسيح من إثم الخطية ومن قصاص الخطية. والنهاية الثانية هي في مجيئه الثاني عندما يقوم الجسد ويتحد ثانية بالروح، وعندئذ يكمل الخلاص.

ولكن بين الصليب حيث قضي يسوع على إثم الخطية، وبين المجيء الثاني حيث يتحد الجسد بالروح. بين هاتين النهايتين تتم عملية الخلاص من سلطة الخطية ومن محبة الخطية." (كتاب حياة الذات ص٦٩)

فهذا الرجل يوضح أنه رغم تمام الخلاص بموت المسيح على الصليب حيث قضى على إثم الخطية إلا أنه لا زال باق علينا أن نتمم خلاصنا من سلطان الخطية ومحبتها. ولهذا فهو يتساءل : هل أنت تتمم خلاصك؟

(٤) شـهادة روبرت بويد:

قال " قد يصلى المؤمن بشوق كامل ، ويغنى بمشاعر داود، ويبكى بغيرة ارميا، لكن إن لم يكن له **جهاده ضد الخطية** يخشى أن يكون مخدوعا في نفسه."
(الكلمات الأولي للمؤمنين الأحداث ص ٧٩).

(٥) شـهادة بلى جرا هام :

"الآن وقد اتخذت قرارك، الآن وقد تبررت، وأصبحت من أولاد الله، ماذا بقي عليك؟ هل ثمة خطوة جديده ينبغي أن تخطوها أم انتهى كل شئ؟ اعلم أنك لست الآن إلا في البداية! أنت في عالم جديد، العالم الروحي، والكل فيه جديد لك. أنت طفل، وكطفل أنت في بحاجة إلى حنان وعناية وغذاء وحماية. ليس بوسعك أن تحيا الحياة المسيحية منفرداً، إذ لا بد لك من "عائلة" تجد فيها المساعدة والشركة، وهذا أحد الأسباب التي من أجلها أسس المسيح الكنيسة".

إن لك أعداء ويالهم من أعداء ! يحاولون بشتى الوسائل أن يخنقوا الحياة المسيحية فيك. فعندما كنت تتخذ قرارك الحاسم كانوا يزأرون ويدأبون محاولين أن يجروك إلى الخطية أو يزجوك في الانهيار واليأس.

ثلاثة أعداء **عليك أن تحاربهم ما حييت**. وعليك أن تعد العدة لكي تهزمهم وتغلبهم **...** يعلمنا الكتاب المقدس أن أعداءنا هم : الشيطان والعالم والجسد.
(سلام مع الله ص ١٧١)

ثم يعود فيقول " **فحربنا إذن حرب روحية** لا نستطيع أن نخوضها ضد أعدائنا الأقوياء بأسلحتنا الجسدية الضعيفة.
(سلام مع الله ص ١٨١).

من كل هذه الشهادات وآيات الكتاب المقدس ترى يا أخي أهمية وضرورة الجهاد في حياتك الروحية. وفي الواقع يا أخي أنت محتاج أن تعرف ما هو الجهاد الروحي وكيفيته لأنني أخشى أن تقع فيما قد سقط فيه الكثيرون إذ ظنوا أن الجهاد هو مجرد أداء تمرينات جسدية أو القيام بأعمال تصوفية لتقوية الإرادة والعزيمة معتمدين على ذواتهم وقدراتهم ومهارتهم دون الاعتماد على قوة الروح القدس. فهم بهذا أقرب إلى جماعة **"**اليوجا الهندية**"** منهم إلى أولاد الله المؤيدين بنعمة الروح القدس.

من أجل هذا أوضح لك يا أخي فيما يلي مفهوم الجهاد السليم في الفصل التالي.

مفـهوم الجهـاد الروحـي

من الكتاب المقدس
من أقـول الآبـاء
من أقـوال البروتـستانت

الجهاد في المسيحية يختلف عنه في الأديان والفلسفات الأخرى فالجهاد في غير المسيحية هو حركة تصوفية تعتمد على المجهود البشرى فحسب للقيام ببعض الأعمال لتعذيب الجسد ظنا منهم أن هذه الأعمال تخلص الجسد من نجاساته وتطهره من أدناسه، وقد خفي عنهم أن الجسد الفاسد من الداخل لا تفيده مثل هذه الأعمال. فمثلهم كمثل من يأخذ خنزير ليغير طبعه عن طريق وضعه في مكان نظيف وتقديم فاخر الأطعمة له وتمرينه على النظافة ... ولكن طبيعته الفاسدة المائلة لقذارة البرك لا زالت فيه من الداخل. فما قيمة كل هذه التدريبات والتمرينات؟ لا شئ بالمرة. فهو وإن كان قد منع من التمتع برائحة الطين وقذارة الرمم ... إلا أن قلبه يحلم بها ويعيش في جوها مشتهيا نتانتها ... وإذا أتيحت له الفرصة اندفع بلا وعى ولا تفكير إلى مراغة الحمأة !!!.

<u>قصة الوزير والخنزير:</u>

كان الملك يتنزه مع وزيره فجاءا إلى بركة تتمرغ فيها الخنازير، فقال الوزير للملك هل يمكن أن تجعل هذا الخنزير لا يتمرغ في الطين؟ فقال الملك هذا الأمر في منتهى البساطة فالخنزير إذا تعود على النظافة لن يطيق طين البركة.

أمر الملك أن يحضروا الخنزير إلى القصر وأمر له بأفخر الطعام وأن يلبس ثيابا ملوكية. ودام الأمر لمدة عام. فأخذ الملك الوزير والخنزير وذهبوا إلى البركة ليريه كيف أن البيئة النظيفة قد أثرت في الخنزير وبالتالي لن يقبل النزول إلى البركة. وما أن اقتربوا من البركة حتى نط الخنزير في الطين متهللا وكأنه وجد حياته من جديد!!

فاغتاظ الملك وأمر الوزير أن يجعل هو هذا الخنزير لا يقبل النزول إلى طين البركة. وفعلا أخذ الوزير الخنزير وبعد شهر واحد طلب من الملك أن يذهب معه وأخذا الخنزير معهما وذهبا إلى بركة الطين، و تعجب الملك بشدة عندما لم يجد الخنزير يندفع إلى الطين فظن أن الوزير قد ربطه وكتفه حتى لا يستطيع النزول، فحاول عبثا أن يجعل الخنزير يقفز إلى طين البركة، ولكن الخنزير كان يتراجع بقوة بعيدا عن الطين.

سأل الملك الوزير عما فعله مع الخنزير، فشرح له كيف أنه استدعى طبيبا مشهورا وأجرى للخنزير عملية تغيير قلبه بقلب حمل وديع، والحمل لا يطيق الطين.

وشرح الوزير للملك كيف أن المسيح يخلق فينا قلبا نقيا فلا نطيق البقاء في طين الخطية.

فالجهاد في المسيحية ليس مجرد أعمال بشرية دون نعمة الله. فهو وإن كان عملا بشريا في ظاهره إلا أنه لا يعتمد على الإنسان في جوهره. وإنما يعتمد على من قال "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً"(يو١٥:٥).

والجهاد المسيحي ليس بدءاً للحياة الروحية بل هو محافظة على الحياة الجديدة التي أخذها المؤمن من الله ... وعملية الحفظ هذه لا تعتمد بجملتها على الإنسان وإنما على قوة الله الحافظة إذ قال بطرس الرسول " أنتم الذين بقوة الله محروسون" (١بط١:٥) وكتب عنه المرنم "هو حافظ نفوس أتقيائه"(مز٩٧:١٠). وقال بولس الرسول "أمين هو الرب الذي سيثبتكم ويحفظكم من الشرير"(٢تس٣:٣).

ولكن هل معنى هذا أن دور المؤمنين في الجهاد سلبي؟ كلا، بل إنه يشترك مع الله في هذا العمل، فقد كتب يوحنا الرسول قائلا "المولود من الله يحفظ نفسه"(١يو٥:١٨).

وقال بولس الرسول "كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شئ"(١كو٩:٢٥).

فمفهوم الجهاد الحقيقي في المسيحية هو :-

جهاد الروح بالنعمة فيك ومعك ولأجلك إذ قال بولس الرسول "بالروح تميتون اعمال الجسد"(رو٨:١٣). وقوله أيضا "لأن الله هو العامل فيكم"(فى٢:١٣).

وقد كتب الدكتور موريس تاوضروس المدرس بالاكليريكية في مجلة الكرازة حول هذه النقطة فقال: "إن المسيحي في جهاده يعتقد بأنه لا يمكن أن يبلغ كماله الروحي والأخلاقي إلا بمعونة السماء وبعمل النعمة الإلهية

فيه. هذه النعمة الإلهية كفيلة بأن تأخذ بيد الإنسان وتقوده في طريق تحقيق الكمال الروحي. وكذلك فإن المسيحي في جهاده لا يتعرض للمشاعر الكئيبة الحزينة بل يتمتع بالتهليل الروحي والفرح القلبي.
(الكرازة السنة الأولى عدد ١٠ ص ١٧)

ولكي نزيد هذا المفهوم إيضاحا نضع أمامك هذه الاقتباسات من:
+ الكتاب المقدس
+ وأقوال الآباء
+ وأقوال مشاهير البروتستانت

أولاً: من الكتـاب المقـدس

حرب المديانيين :
يروى لنا سفر القضاة أن الرب عندما أراد أن ينقذ إسرائيل من يد أعدائهم المديانيين.(قض٦:١٤).

أخذ جدعون اثنين وثلاثين ألفا من الرجال وذهب لمقاتلة المديانيين. ولكن الرب قال له "الشعب الذي معك كثير علىَ لأدفع المديانيين بيدهم لئلا يفتخر على إسرائيل قائلا يدي خلصتني، والآن ناد في آذان الشعب قائلا من كان خائفا ومرتعداً فليرجع وينصرف... فرجع من الشعب اثنان وعشرون ألفا وبقى عشرة آلاف!!

وقال الرب لجدعون لم يزل الشعب كثيرا. انزل بهم إلى الماء فأنقيهم لك هناك ... فنزل الشعب إلى الماء. وقال الرب لجدعون كل من يلغ بلسانه من الماء كما يلغ الكلب فادفعه وحده، وكذا كل من جثا على ركبته. وكان عدد الذين ولغوا بيدهم إلى فمهم ثلاث مائة رجل ...

فقال الرب لجدعون بالثلاث مائة الرجل الذين ولغوا أخلصكم وأوقع المديانيين بيدك ... وكان المديانيون كالجراد في الكثرة!!!."(قض٧:٢-٧).

فتأمل يا أخي قول الرب لجدعون "اذهب بقوتك هذه خلص إسرائيل ! فهل قوة جدعون هذه تخلص إسرائيل من المديانيين الذين كانوا كالجراد في الكثرة.؟!

واغتر جدعون في قوته وظن أنه فعلا بهذه القوة يهزم الأعداء وينال الخلاص، فجمع أثنين وثلاثين ألفا من الرجال المقاتلين وفاته المسكين أنه "لا بالقدرة ولا بالقوة بل بروحي قال رب الجنود"(زك٤:٦).

فأراد الرب أن يعلمه عدم الاعتماد على ذاته إذ أنقص العدد إلى ثلاثمائة مقاتل !! وماذا يكون مثل هذا العدد أمام جيش كالجراد في الكثرة؟! دخل جدعون الحرب بهذا العدد القليل وأنتصر فعلا على الأعداء ... فهل كان النصر بقوة جدعون؟! كلا ، وإنما بقوة الرب ... وهنا يعترضنا سؤال : إن كان النصر ليس بقوة جدعون بل بقوة الله لماذا يصرُ الله على أن يستخدم قوة جدعون؟ ألم يكن قادر على أن يهزم الأعداء بدون اشتراك جدعون؟

حقيقة كان يستطيع الرب أن يهزم الأعداء بدون اشتراك جدعون نهائيا، بل كان يستطيع أن يزجرهم قبل أن يصلوا إلى حدود إسرائيل، وهذا فعلا ما كان يفعله في بعض الأحيان... ولكن ماذا كانت النتيجة ؟ النتيجة هي أن الشعب كله يظل مستهترا ومستهينا بعمل الله!!!

لهذا فالرب كان يثير عليهم الأعداء ليوقظهم إذ يضايقونهم فينتبهون ويصرخون إليه ... وكان يصر على اشتراكهم في الحرب ودفع العدو حتى لا يستهينوا بعمل الله في تواكل وكسل ... ومن الجانب الآخر كان يطالبهم بالاتكال عليه وطلب معونته، وكان يتدخل هو بقوته معهم لأنهم لا يقدرون على العدو فعلاً.

فسياسة الله هي أن يشترك مع الإنسان لإنقاذه من أعدائه ولهذا قال "يحاربونك ولا يقدرون عليك لأني أنا معك يقول الرب لأنقذك"(إر ١:١٩).

ولاحظ يا أخي قوله "أنا معك" أي ليس أنى أنقذك بدونك. لهذا قال القديس أوغسطينوس "الله الذي خلقك بدونك لا يمكن أن يخلصك بدونك".

وما أجمل ما صوره زكريا النبي قائلا "لأن رب الجنود قد تعهد قطيعه بيت يهوذا وجعلهم كفرس جلاله في القتال. منه الزاوية، منه الوتد، منه قوس القتال ... ويكونون كالجبابرة ... ويحاربون لأن الرب معهم."(زك١٠:٣-٥).

لعلك من هذا قد فهمت يا أخي ضرورة تضامن قوة الرب القادرة على الخلاص مع قوتك العاجزة لإنقاذك من أعدائك الروحيين.

(٢) حرب عماليق :

هذا مثال آخر قد ضربه قداسة البابا الأنبا شنوده الثالث لتوضيح تضامن عمل النعمة مع عمل المؤمن في الجهاد الروحي فقال : كان يشوع بن نون يقود جيش شعب الله ويحارب، وفي نفس الوقت كان موسى النبي يقف على الجبل رافعا يديه بالصلاة حتى النصرة. فهل انتصر شعب الله عن طريق جيش يشوع أم عن طريق صلاة موسى؟ يخطئ من يخص واحدة فقط من الاثنتين. لان يشوع وحده مهما حارب بدون صلاة موسى _ أي بدون معونة الله _ لا يمكن أن ينتصر.

وصلاة موسى وحدها ليس معناها تشجيع شعب الله أن يتراخى ويتكاسل ويهرب من أمام العدو، ويقول تكفي صلاة موسى .

الجهاد والصلاة كانا سائرين سويا. هذا يجاهد في الحرب وذاك يصلى. الجهاد والنعمة متلازمان. (كتاب "لك يابنى" ص٧٠).

(٣) إقامة لعازر :

ولنا في معجزة إقامة لعازر من الموت شاهد آخر على تضامن عمل النعمة مع الإنسان في إتمام مقاصد الله.

فيسوع المسيح الذي له السلطان والقدرة على إقامة لعازر من الموت أما كان يستطيع أن يزيح الحجر عن فم القبر؟! بلا شك كان يستطيع أن يفعل ذلك بمنتهى السهولة ... ولكنه يريد أن يشترك الإنسان معه لإتمام مقاصده، فقال للواقفين "ارفعوا الحجر ... فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الأب أشكرك لأنك سمعت لي... ثم صرخ بصوت عظيم لعازر هلم خارجا. فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم يسوع حلوه ودعوه يذهب."(يو ١١:٣٨-٤٤).

وثمة ملاحظة أخرى تلفت النظر ... أما كان يستطيع يسوع الذي أخرج لعازر من القبر أن يحله من الأربطة؟! كما حدث معه هو في قيامته إذ عندما "قام بطرس وركض إلى القبر فانحنى ونظر الأكفان موضوعة وحدها."(لو٢٤:١٢). وبلا أدنى شك كان يسوع يقدر أن يفعل ذلك، ولكنها سياسته الإلهية إذ أنه يريد أن يلمس الناس بأنفسهم قوة عمله عندما يشتركون معه في العمل.

بل نستطيع أن نقول أن الله يطالب البشر بأن يشتركوا معه فيعملوا ما في مقدورهم، .أما ما يعجزون عنه فالرب يفعله.

وهذا هو الحال في الجهاد الروحي فالمؤمن يقوم بالعمل الذي يستطيعه في حدود إمكانياته البشرية معتمدا على قوة الله في إتمام ما يعجز هو أن يفعله.

ثانيا: من أقـول الآبـاء

(١) مثل الفـلاح والزرع:

ضرب الأنبا مقاريوس الكبير هذا المثل فقال : "يحرث الفلاح الأرض ثم ينـتظر الندى والأمطار من فوق. فإذا لم يأت الماء من فوق يصير الكرم بلا ثمر ويصبح الكرام بلا مكسب من فلاحته.

هكذا أيضا في الروحيات يجب أن يعمل ويجاهد كل إنسان بإرادة وعزيمة لأن الله يطالب كل إنسان بكده واجتهاده وعمل يديه، ولكن إذا لم تدركه نعمة الله من فوق، ويشرف عليه جوده وتحننه يبقى بلا ثمرة من جهاده.

وقال أيضا : "يحرث الفلاح ويجتهد ويضع بذارة في الأرض ثم يقف منـتظرا المطر من فوق، فإذا لم تظهر السحب وتهب الرياح والعواصف يصير جهاد الفلاح وعمله بلا فائدة. وتبقى البذور عارية لطيور السماء لتـلـتقطها".

ويكمل قائلا: "هكذا الإنسان المتكل على عمله، الذي لا ينظر إلى فوق بل يكتفي بعمل يديه، فمهما كان جهاده وصلاته وتقشفه وبعده عن الماديات ومحبته للأخوة الغرباء فإنه لا يأخذ ثمار جهاده وحبه إذ لم يشرق عليه غنى الله وعمل النعمة ويهب عليه الروح القدس ويتساقط عليه ندى رحمة الله.

إن ما كتبه القديس مقاريوس هو من أجمل التشبيهات لإظهار تضامن عمل النعمة بالروح القدس مع عمل الإنسان الشخصي من أجل إتمام خلاصه.

فعلى الفلاح أن يقوم بحرث الأرض وبذر البذور. ولكن هل مجرد هذا العمل يأتي بالثمار؟! كلا فلا بد من توفر العنصر الإلهي العامل في الثمار وهو حيوية البذرة نفسها داخليا، وتوفر مياه الري الذي يعتمد على سقوط الأمطار ... فلا بد من اشتراك العاملين.

هكذا حياتك الروحية فلا بد أن تحرث الأرض (تفحص نفسك جيدا وتفتح قلبك بمشيئة راضية) ثم تبذر بذار النعمة (أي كلمة الله) وتخبئها في قلبك ... وهناك في داخل تربة قلبك يثمر الخلاص إذ في بذار الكلمة حيوية داخلية، وفي رذاذ النعمة سقى للتربة والكلمة فـتنمو حياتك الروحية.

الأخ وأختـه:

وهذا مثل آخر من بستان الرهبان يلقى ضوءاً على مفهوم الجهاد وتضامن النعمة مع العمل البشرى فيه.

قال شيخ "كان إنسان في قرية له أخت جميلة ... وكان أخوها يخاف أن يرسلها وحدها ... فقام وأمسك بيدها ومضى ... وكان يدخل ويخرج وهو ماسك يديها ... وهكذا كثيرون كانوا ينظرون إلى الصبية ويشتهونها من اجل جمالها، ولم يتمكنوا أن ينالوا منها شيئا لأن أخاها كان ماسكا بيدها ... هكذا النفس ما دامت ذاكرة اسم ربنا يسوع المسيح الذي صار لها أخا بالتدبير، فانه يكون في كل وقت ماسكا يدها ... وأن أراد أعداؤها غير المنظورين خداعها، فإنهم لا يستطيعون أن يفعلوا بها شيئا لأن أخاها ماسكا بيدها، إن هي تمسكت في كل وقت بربنا يسوع المسيح المخلص ولم ترخه.

أرايت يا حبيبي أن التمسك بهذا المخلص الصالح الذي هو ربنا يسوع المسيح هو خلاص عظيم، وحصن منيع، وسلاح لا ينغلب، وخاتم خلاص النفس."
(بستان الرهبان).

(٣) التغصب في بدء الحيـاة الروحيـة:

* كل ما تغصب نفسك عليه في البداية سوف يكون سهلاً هيناً عليك في النهاية. وكلما تعبت في الجهاد اكثر كلما تحنن الرب عليك اكثر.

(قول لأحد الآباء القديسين).

* حينما يرى الرب نية الإنسان واجتهاده، وكيف يغصب ذاته لذكره وعبادته، وكيف يرغم قلبه سواء رضى أو لم يرض إلى عمل الخير والتواضع والوداعة والصدقة، وكيف هو يبذل كل ما في وسعه، يتحنن الرب عليه ويظهر له رحمته ويخلصه من أعدائه ومن سلطان الخطية ويملاه من الروح القدس وحينئذ يتمم وصايا الرب دون تغصب وإجهاد لأن الرب الساكن فيه هو يكون العامل فيه وبذلك يثمر ثمار الروح بطهارة. (القديس مقاريوس الكبير).

* حينما يغصب الإنسان نفسه هكذا إلى كل الفضائل، ويلح في طلب وسؤال كل ما هو صالح لخلاص نفسه. ويثبت سؤاله بأعماله وجهاده. فإن الرب يعطيه روحه ليعمل به. ويكمل كل صلاح. وبدون عناء وتغصب يعمل الفضائل التي كان يتممها قبلا بكل جهد وتغصب. وتحل عليه الحكمة الروحانية ومعرفة الحق وتصير كطبيعة له لأن الله يكون ساكنا فيه. (القديس مقاريوس الكبير).

* بقدر ما يشقى الإنسان ويجاهد ويغصب نفسه من أجل الله. هكذا معون إلهية ترسل إليه وتحيط به وتسهل عليه جهاده وتصلح الطريق قدامه.
(القديس مار اسحق).

* في بدء حياة العبادة يكون الصلاة أمراً ثقيلاً على الجسد والعقل، وإن تركا لذاتهما لما تقدمنا للصلاة قط. لذلك وجب أن نغصب ذواتنا حتى تصير الصلاة جزءا هاماً من حياتنا لا نستطيع أن نهمله أو نستغني عنه. (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص٣٨٩).

لعلك قد رأيت يا أخي كيف أن الجهاد البشرى يعمل مع النعمة من اجل حياة أفضل **...** فاذكر يا أخي يا من لك حياة متقدمة الآن تلمس فيها عمل الواضح بانسيابية لذيذة أنك في بدء حياتك الروحية كنت تغصب نفسك على الصلاة والالتصاق بالرب **...** وعندما مس الرب عينيك فانفتحت نسيت تلك الأيام الأولى! في حين أن الرب ما أنعم عليك بما أنت فيه إلا عندما رأى اشتياقات قلبك وقرعاتك المتوالية على باب نعمته ففتحه لك **...**

(٤) تضامن النعمة مع الإنسان:

*لا تعتمد على جهادك وحده كأنه يوصلك إلى ثمار الحياة الروحية. لأن نعمة الله إذا لم تحل على الإنسان وتبارك جهاده يظل عقيماً بلا ثمرة كتقدمه قايين!
فالجهاد يؤهلنا فقط للملكوت. والنعمة تقودنا إلى هناك. والجهاد لا يخلصنا من الخطية قط بل يجلب علينا رحمة الله. (حياة الصلاة الأرثوذكسية).

* الرب يعمل مع الإنسان في ارض النفس. أما الأشواك التي يبذرها الشرير فهي تنمو، ولكن حينما تكثر النعمة تذوبها وتلفحها شمس البر.
(القديس مقاريوس الكبير).

* لأن إرادة الله أن لا تكون النعمة وحدها هي العاملة فينا وبنا، بل نكون مشتركين بنصيبنا في الأعمال الصالحة. لاحظ مثلا كيف كان سلوك السيد مع تلاميذه: وضع عليهم وصايا ليتمموها ليتم بذلك عمل النعمة. فعمل العجائب كان عليه هو، أما الوصية التي كان عليهم أن يتمموها لتتم المعجزات فهي عدم الاهتمام بشيء. وفتح بيوت الناس أمام وجوههم كان من عمل النعمة العليا، ولكن عدم حمل شئ اكثر من الحاجة كان من عمل إنكارهم لذواتهم. ومنحهم السلام والشفاء للناس كان من عمل النعمة، أما السؤال عن المحتاج وعدم الدخول قبل فحص من هو المستحق كان من الأوامر التي عليهم أن يتمموها. كان عليهم أن يحتملوا الطرد والإهانة ولا ييأسوا البتة، وخلاصهم ومعونتهم السريعة في حينها كان على من أرسلهم. (يوحنا ذهبي الفم).

إن في هذه الأقوال إيضاح تام لمفهوم الجهاد في تضامن واشتراك من الإنسان مع النعمة الإلهية.

(٥) الجهاد محافظة على روح النعمة :

قولنا سابقا أن الجهاد المسيحي من جانب المؤمن ليس شيئا في ذاته وإنما هو محافظه على النعمة التي من الرب وهذا يوضحه الآباء بقولهم:

* بالأيمان ينال الإنسان نعمة، ويكون أهلاً لدخول الملكوت. إلا أنه من الناحية الأخرى عليه أن يحافظ على روح النعمة ويكون موفقا له في كل أعماله.

فلا يأتي عملاً رديأ أو يهمل عملاً من أعمال الله. فإذا داوم على ذلك ولم يحزن الروح داخله بعمل يوافقه، يمكن عمليا من الدخول إلى ملكوت السماوات. (القديس مقاريوس الكبير).

(٦) والجهاد تسليم النفس لعمل النعمة:

"في البدء يكون افتقاد النعمة قليلا مع أن لها القوة لتغسل وتكمل الإنسان في ساعة وذلك لكي تختبر غرض وميل الإنسان، هل هو محتفظ بحبه نحو الله تماما ؟ وهل تخلت نفسه عن شهوة الشر ؟ وهل اسلم نفسه حقيقة لعمل النعمة ؟ فإذا ما استطاعت النفس أن تستجيب لمطامع النعمة وتمتد معها في طريق القداسة والبر فإن النعمة تتأصل في النفس وتمتد جذورها حتى الأعماق وترتقى بالنفس قليلاً، قليلاً في توافق وسهولة حتى تصير كلها في أحضان النعمة السماوية."
(القديس مقاريوس الكبير).

ثالثا: من أقوال مشاهير البروتستانت

هذه بعض مشاهير البروتستانت موضحة مفهوم الجهاد رغم أفكار أغلبيتهم لذلك:

(١) ف. ب. ماير :

قال " الله يدخل قلبك لكي يجاهد معك ضد جرثومة الخطية الطفيلية. (وضرب لذلك مثلا قائلا) روت لي سيدة فاضلة أن ابنها جاءها يوما من المدرسة مصابا بحمى قرمزية. لقد أتاها في سيارة ملفوفا بالبطاطين. وإذ دخل البيت استقبلته قائلة: يا ابني لقد أعدَّت أمك غرفة في الدور العلوي لك ولها. وسوف تجلس أمك بجوار سريرك، ولا تتركك إلا بعد أن تشفى، وسوف تساعدك في الكفاح ضد الحمى...

هكذا حبست نفسها معه في حجرة نومه. هل تظن أن محبتها له نقصت لأنه قضى وقتاً طويلاً في عملية الشفاء؟

أيها العزيز، يا من تشقى بالخطية التي قبلتها في قلبك، إن الله يكره الخطية. لكنه يحبك. لقد عرف كل شئ عنها قبل أن يختارك. ولذلك فإنه سوف لا يدهش ... وسوف لا تقل محبته لك. لكن كلما ازدادت خطاياك، وكلما ازددت ضعفاً ...ازداد جهاد الله في قلبك ضد الخطية".(حياة الذات ص ٧٠).

وقال أيضاً : "عندما يعمل الله في الداخل ينبغي أن تتمم هذا بخوف ورعدة".(حياة الذات ص ٧٧).

(٢) د. ل. مودى :

قال : " إن الحياة المسيحية هي حياة جهاد وحرب ... وعندما يعمل الله مع الإنسان لا بد وأن ينتصر. فنحن عاملون مع الله. (وضرب لذلك مثلا قائلا): إذا أخذت طاحونة ووضعتها فوق مستوى النهر بأربعين قدماً فهل تستطيع قوة مهما كانت تجعل هذا النهر يشغل تلك الطاحونة؟ ولكن عندما نخفضها أربعين قدماً ألا تشتعل في الحال؟ هكذا يجب أن نضع في أذهاننا أنه إن أردنا أن نغلب العالم فلا بد وأن نعمل مع الله" **(The Overcoming Life D.L. Moody P.7)**.

ولعل مودى قد رمز إلى الإنسان بالطاحونة وإلى الروح القدس بالنهر، فكما أن الطاحونة لا يمكن تشغيلها إن لم توضع في النهر، هكذا الإنسان لا يمكن أن يغلب إلا بقوة الروح القدس.

وقال أيضا: "يسوع هو رئيس الخلاص كالقائد المدرب والمرشد المختبر يقود النفس والروح ضد أعدائها الروحيين، يقودها إلى الغلبة فيعظم انتصارها في كل حروبها ضد العالم والجسد والشيطان." (حياة القداسة ص٢٧).

كما قال أيضاً "البعض يسيئون الفهم فيقولون ما دام الله قوتنا فليست هناك أهمية لمقاومة الخطية وسنعتمد على هذه القوة. وبذلك يستمرون في الخطية ويلقون كل التبعية على الله. إن أولئك لم يفهموا بعد معنى قوة

المسيح، فلو أدركوها لما استمروا تحت الخطية لأن معنى قبول قوة المسيح يتطلب كراهية الخطية ومحاولة التخلص منها إلى أن تدركهم قوة المسيح المخلصة." (حياة القداسة ص ٦٨).

(٣) روبرت بويد :

إن الله لا يقدر أن يعمل لنا شيئا نقدر نحن أن نتممه لأنه لم يقصد بالصلاة تشجيع التهاون. عندما نطلب غلبة على الخطية يجب أن نراقب وأن نتحفظ وإلا كانت صلاتنا مهزلة من المهازل، يجب أن نتعاون مع الرب في أمر نمونا في النعمة. (الكلمات الأولى للمؤمنين الأحداث ص١٥).

(٤) بلى جراهام :

قال " فحربنا إذن حرب روحية لا تستطيع أن نخوضها ضد أعدائنا الأقوياء بأسلحتنا الجسدية الضعيفة. ولكن عندنا أدوات طيعة في يد الروح القدس وندعه يقاتل عنا فسوف نحرز النصر الكامل." (سلام مع الله ص ١٨١).

وقال أيضاً "تعلم كيف تقاوم التجربة. إن التجربة ليست خطية وإنما الاستسلام لها خطية. وإحدى طرق مقاومة التجربة أن تجابه الشيطان بآية من الكتاب المقدس كما فعل الرب يسوع ... دع يسوع يحارب عنك بالروح القدس."
(سلام مع الله ص ١٩٤).

من كل ما تقدم يا أخي ترى أن مفهوم الجهاد الروحي السليم هو أن يقدم الإنسان ما في إمكانياته البشرية، ليس معتمداً عليها في الخلاص، وإنما هي إشارة الموافقة من جانبه والاستعداد التام لعمل النعمة فيه لإتمام خلاصه وإلا باءت كل مجهوداته بالفشل وأصبحت عديمة الفائدة وبلا قيمة.
وهذا ما وضحه نيافة الأنبا شنوده بقوله :

+ "جاهد ولا تعتمد على ذراعك البشرية بل معتمداً على نعمة الله ومعونة وفعل الروح القدس".
+ وقال أيضا:"الحقيقة أن الجهاد يصبح ذراعا بشريا لو أعتمد الشخص على ذاته فقط. لو كان يعتبر أنه بمجرد جهاده فقط يخلص نقف أمام الآية القائلة "لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً."(يو١٥:٥).

+ وأضاف قائلا: "إن الحرب بدون سلاح لا تصلح. وهذا ليس معناه أن الحرب لا قيمة لها. بل معناه أننا عندما نحارب بدون سلاح أي بدون نعمة الله ومعونته فإننا لا ننتصر".

+ وقال أيضا: "جاهد إذن واعتمد على الله في جهادك والله سوف ينصرك".
[كتاب لك يا بنيّ ص٧٨،٨٠]

فليتك يا أخي تدرك هذا وليعطيك الرب فهما حتى لا تعود تؤدى أعمالا بشرية بدون معونة النعمة ظانا أنها توصلك للملكوت.

عنـاصر الجـهاد الروحـي

أولاً:- العنـصر البشـرى
ثانياً:- العنصـر الإلـهـي
ثالثاً:- تضـامن العنصـرين

عرفت يا أخي أن الجهاد في مفهومه السليم هو تضامن العنصر البشرى مع العنصر الإلهي لإتمام الخلاص. والآن نريد أن نوضح مدى نصيب كل من هذين العنصرين في عملية الجهاد:-

أولاً: العنـصر البشـرى

يشترك العنصر البشرى في عملية الجهاد المبارك بالنصيب الآتـي:

(أ) الإرادة :

ففي الإرادة مجاهدة لرغبات النفس ضد مشتهياتها الرديئة. فعندما تقدم أنت هذا العنصر من جانبك، فالرب يقوم من جانبه بتـثبيت عزيمتك في طريق النعمة، ويميت الرغبات المضادة. من هذا نستطيع أن ندرك السر الكامن خلف سؤال السيد المسيح لكل مريض "أتريد أن تبرأ؟". ذلك لأنه يريد من المريض أن يشترك في عملية الإبراء ولو بالإرادة. فإذا قدم المريض من جانبـه هذه الرغبة أتم السيد له الشفاء.

لهذا يقول القديس مقاريوس: "في الروحيات يجب أن يعمل ويجاهد كل إنسان بإرادته وعزيمته ... ولكن إذا لم تدركه نعمة الله من فوق ... يـبقى بلا ثمرة في جهاده".

وقد قال قداسة البابا الأنبا شنوده الثالث: "أمر خلاصك يتوقف إذن على اتفاق إرادتك مع أرادة الله وقبولك للخلاص".

وقال أيضاً "فإرادتك تـتحد مع الروح القدس في خلاص نفسك".

وأيضاً "فالنعمة عبارة عن سلاح يمكنك به أن تحارب لو أردت" (لك يابنى ص٧٢،٧١،٩٠).

فما قيمة جهادك يا أخي إن كنت لا ترغب في قرارة نفسك أن تترك الخطية؟ يوجد أناس يصومون ويصلون ويتناولون من الأسرار المقدسة ويزرفون الدموع أمام الله ولكن قلوبهم لا تريد أن تفارق الخطية لأن محبتها قد ملكت عليها. أفيرتضي الرب أن يخلصهم وهم لا يرغبون في ذلك؟

أخشى يا أخي أن يكون هذا وضعك. فإن كنت كذلك وتشعر بمحبة الخطية المتملكة على قلبك تستطيع أن تطلب من الرب فيطفئ هذه المحبة الملتهبة إن أردت.

(ب) الإيمـان :

والإيمان الذي نقصده هنا ليس الإيمان الذي هو ثمرة من ثمار الروح الذي قال عنه الكتاب "أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام ... إيمان ..." (غل٥:٢٢).

وليس الإيمان الذي هو موهبة من مواهب الروح التي كتب عنها الرسول "لكل واحد يعطي إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يعطي بالروح كلام حكمة ... ولآخر إيمان... " (١كو١٢: ٧،٩).

ولكن الإيمان المقصود هنا هو الإيمان الخلاصي الذي يتطلبه الرب من الإنسان لينال الخلاص "من آمن واعتمد خلص" (مر١٦:١٦).

وقد أوضح الرب يسوع أن هذا الإيمان هو عمل إرادي عندما سأل والد الفتي الذي كان به روح نجس قائلاً "إن كنت تستطيع أن تؤمن، كل شئ مستطاع للمؤمن" (مر٩:٢٣). والكتاب يرينا أنه ليس علي الإنسان إلا أن يبدى إشارة الإيمان والرب يثبت هذا الإيمان، يتضح ذلك من كلمات والد هذا الفتي الذي كان به الروح النجس عنـدما قال رداً علي سـؤال المسيح السـابق " أؤمن يا سيد فأعن عدم إيماني" (مر٩:٢٤).

فهذا الرجل يبدي إيمانه ثم يطلب من الرب إتمام ذلك فيقول له: "أعن عدم إيماني". ولقد أدهشني تعبير هذا الرجل فهو لا يقول أعن (ضعف إيماني) بل (عدم إيماني) وكان هذا الطلب كافياً لأن يتم الرب إيمان الرجل ويجري المعجزة.

أخي إن إتمام خلاصك يحتاج إلى إشارة الإيمان من جانبك والرب سيثبت هذا الإيمان ويكمله ليتمم خلاصك.

وفي الإيمان يا أخي مجاهدة النفس ضد شكوكها وارتيابها وزعزعة ثقتها ... وعندما يرى الرب ثباتك رغم هذه التيارات التي تقلقك يتقدم هو ليبارك عليك وينتهر رياح الشكوك وتيارات الارتياب. وفي هذا الصدد قال القديس يوحنا (من كرونستادت):-

"الإيمان هو فم الروح كلما انفتح بسخاء كلما انسكبت فيه الينابيع الإلهية. آه ... !! ليت هذا الفم على الدوام مفتوحاً فلا تحبسه شفتا الشك وعدم الإيمان فتتحبس عنا كثرة أنعام الله." وقال أيضا: "في شدة إيمانك الصادق به يصير اتحادك معه. وحينئذ ما تطلبه يكون لك حسب مشيئته سواء كان من أجل خلاصك أنت أو من أجل قريبك..."

فهل تستطيع يا أخي أن تؤمن أن الله قادر أن يعمل فيك لإتمام خلاصك "من ثم يقدر أن يخلص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين يشفع فيهم" (عب٧: ٢٥).

هل تستطيع أن تؤمن أن الرب معك في جهادك طول الطريق ضد أعداء النعمة "يدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا." (مت١:٢٣).

إن كان لك هذا الإيمان فسوف تغلب العالم "هذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا." (١يو٥:٤).

وإن كان لك هذا الرسوخ في الإيمان تغلب الشيطان "قاوموه راسخين في الإيمان" (١بط٥:٨).

وإن كان إيمانك ضعيفا لدرجة الانعدام اصرخ قائلا: "يا سيد أعن عدم إيماني." (مر٩:٢٤).

وليس مقياس إيمانك الحس والشعور كما قلت سابقا، ولكن هو تصديق مواعيد الله. فقد وعد الله أنه يقدر أن يخلصك إلى التمام (عي٧: ٢٥) فهل تصدق ذلك وتثق فيه من كل قلبك ... إذن سلم ذاتك له في اتكال تام عليه.

(ج) الهروب :

يقول القديس أوغسطينوس : "الهروب من إطاعة الشهوات هو جهاد دائم وصراع يومي ضد الرغبات الغير لائقة."

(N.P. Frs 1st Ser. Vol. V P. 13G)

ففي الهروب مجاهدة للنفس ضد ميولها وانحرافاتها نحو مجال الخطية والإثم. فان قمت بهذا العمل من جانبك فإن الرب من جانبه يميت ميولك الداخلية المنحرفة.

ولهذا حرص القديس باسيليوس أن يقول في القداس الإلهي: "أنعم لنا يا سيدنا بعقل وقوة وفهم لنهرب إلى التمام في كل أمر رديء للمضاد." ثم يطلب قائلا : والمجرب أبطله واطرده عنا. وانتهر أيضا حركاته المغروسة فينا. واقطع عنا الأسباب التي تسوقنا إلى الخطية."(القداس الإلهي).

وفي صلاة الأجبية نقول: " أمت حواسنا الجسمانية أيها المسيح إلهنا ونجنا." فلا بد لك يا أخي أن تهرب من مجالات الخطية لتتم خلاصك... ولكن لا يكون هروبك من هذه المجالات سلبياً فحسب ... بل بعد أن تفرغ القلب من أشواق الخطية لا بد وأن يملأه بالأشواق المقدسة ... بعد أن يفرغ من إبليس لا بد وأن يملأه يسوع ... وإلا عاد هذا الشيطان بعد تجوال في برية لا يجد فيها راحة فيجد قلبك مكنوساً مزيناً فيرجع ومعه سبعة شياطين أشر منه !! (مت١٢: ٤٥).

لهذا حرص معلمنا بولس الرسول أن يوضح ذلك لتلميذه تيموثاوس بقوله: " أما الشهوات الشبابية فاهرب منها." ولا يكتفي بهذا الوضع بل يحثه على استكمال هذا الأمر بقوله: "واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقي." (٢تى٢:٢٢).

فما هو قيمة الهروب من مجال اللذة الباطلة في الخطية إن لم يتلذذ القلب باللذة الحقة في الرب؟! فإن عملية الهروب لا تكون إلا مجرد حرمان وعذاب ونسك تصوفي ممقوت إن لم تجد النفس لذتها وسعادتها في شخص الرب يسوع المبارك.!!

(د) التغصب:

يجب ألا يغيب عن بالك يا أخي حقيقة هامة وهي أن "الجسد يشتهى ضد الروح" (غل٥ :١٧) لهذا لا بد من عدم الاستسلام لرغبات الجسد ليس في شهوته فحسب بل في طلبه للراحة أيضاً ... فبينما الروح نشيط نجد أن الجسد ضعيف (مت٢٦: ٤١) لهذا فأحيانا تشتاق النفس لمحادثة حبيب الروح وإذ بالجسد في تكاسله يشدك إلى الفراش ... أو بسبب مرض يقعدك عن الاتصال ... فهل تستسلم إذن لسلطان الجسد؟! هنا الخطورة البالغة على الحياة الروحية بأكملها ... من هنا لزم للمؤمن أن يغصب جسده لإتمام مقاصد الروح.

وفي هذا قال القديسون:-

* "يقول الناس إذا كنت لا تشعر بميل إلى الصلاة فالأحسن لا تصلى. هذا احتيال وسفسطة جسدانية. لأنك إذا كنت تصلى فقط حينما يكون لك ميل للصلاة، فأنت لن تصلى قط. لأن ميل الجسد الطبيعي هو ضد الصلاة. ومعروف أن "الجسد يشتهي ضد الروح"، "وملكوت الله كل واحد يغتصب نفسه إليه" (لو١٦:١٦). فأنت لن تستطيع أن تعمل لخلاص نفسك إذا لم تغتصب ذاتك". (الأب يوحنا من كرونستادت).

* "لا تتبع راحة الجسد ولكن صلي. وصلي بجد واهتمام حتى ولو كنت طول النهار تكد وتتعب. لا تكن مهملاً في الصلاة المقدسة ... (لا أصعد على سرير فراش ولا أعطى لعيني نوما أو لأجفاني نعاساً ولا راحة لصدغي إلى أن أجد موضعاً للرب). (مز ١٣١).

(القديس مار اسحق السرياني)

* "حينما نصلي يجب أن نغصب ذواتنا كل لحظة لننطق كل كلمة بصحو وشدة من شعور القلب. وعندما نهمل الصلاة تصبح بلا شك ضرباً من الرياء والغش وتخلو من روح العبادة والتقوى". (الأب يوحنا من كرونستادت)

* "إن من يتلو صلواته بتسرع وهو مغلوب من كسله ونعاس جسده، دون أن يتفهم معاني الكلمات في قلبه، ويتحسس روحها بمشاعره ووجدانه، لا يخدم الله البته بل يرضى نفسه ويسكت ضميره. هذه ليست صلاة لكنها ضرب من الكذب ومخاتلة الله. "الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا".(يو٤:٢٤). فمهما كان جسدك ضعيفا متكاسلا. ومهما كانت تيارات النعاس شديدة وقد سرت في جسدك كله وأخذت ترضى أعضاءه عضوا بعد الآخر. هنا **وقت الشهادة**، قم انفض غبار الكسل وانزع نوم الغفلة، وجاهد نفسك حتى تغلبها ولا تشفق عليها. ومن أجل حبك لله ارفض ذاتك واجحدها وتقدم للصلاة بقلب شجاع ونفس حارة.

(الأب يوحنا من كرونستادت).

* مهما كان الجسد متعبا من عمل النهار فالصلاة لا تزيده تعبا بل على العكس فإن الصلاة سوف تنعش روحك وجسدك أيضا. (أحد آباء البرية)

* ثم إن التغصب يا أخي ضروري للمؤمن المبتدئ الذي تمتع بنعمة التغيير والتجديد ... فهو محتاج لأن يغصب نفسه على الصلاة حتى تصبح جزءا لا يتجزأ من كيانه.

* في بدء حياة العبادة تكون الصلاة أمرا ثقيلا على الجسد والعقل. وإن تركا لذاتيهما لما تقدمنا للصلاة قط. لذلك وجب أن نغصب ذواتنا حتى تصير الصلاة جزءا هاما من حياتنا لا نستطيع أن نهمله أو نستغني عنه. (أحد شيوخ البرية).

* كل ما تغصب نفسك عليه في البداية سوف يكون سهلا هينا في النهاية. (أحد الآباء).

* والجهاد في الصلاة عموما عمل مقدس يستمطر فيض النعمة الإلهية ذات البركات الغنية. فبولس الرسول يضع لنا هذا المبدأ بقوله " أطلب إليكم أيها الاخوة ... أن تجاهدوا معي في الصلوات..."(رو١٥:٣٠).

ويحكى لنا الكتاب قصة صراع في الصلاة كان بطلها يعقوب إسرائيل "بقى يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، لما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه، فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه، وقال

اطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركني... فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وباركه هناك"(تك٣٢: ٢٤-٢٩).
ويعلق هوشع النبي على قصة صراع يعقوب هذه بقوله: "بقوته جاهد مع الله ... بكى واسترحمه"(هو١٢: ٣).

فالصراع يا أخي في الصلاة معناه دموع منسكبة، أنات وتنهدات، زفرات وصرخات، طلبات وتضرعات. هذا ما صوره معلمنا بولس الرسول عن صراع رب المجد نفسه يسوع في بستان جثسيماني قائلا: "الذي في أيام جسده إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه"(عب٥: ٧).

ألا تريد أن تتمثل بسيدك فتجاهد في صراع مع الله ألا تريد أن تتشبه برجال الله القديسين لكي يتمم الرب خلاصك "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة" (فى١٢:).؟

ولكن اعلم يا أخي أن الصلاة في حد ذاتها كلا شئ إنما هي مجرد قنطرة العبور إلى شاطئ الروح حيث تلتقي النفس بمن تحبه وهناك تعانقه في شوق وهيام !!!

بانسياب تيار الحرارة الروحية الحلو الدافئ في القلب. وفي شغف الفرح بل إن التغصب يا أخي هو من ألزم الأمور في معالجة الفتور الذي يعتري المؤمن أحيانا وقد قيل في هذا الصدد:-
* [أحيانا تفتقد النفس حركة روحانية حادة تتذوق فيها الله بحرارة وتشتعل بحب الأشياء الإلهية. ثم تعود تفقدها فتجدها قد بردت وجفت منك لأن التشويش الحادث من خلطة الناس قد أصابك في موضع ما. أو لأنك تكون قد فضلت بعض الأعمال الجسدية وقدمتها على خدمتك الروحية. إلا أنه على أي حال فالدموع وقرع الرأس على الأرض أثناء الصلاة وانسحاق النفس تسرع مرة أخرى بانسياب تيار الحرارة الروحية الحلو الدافئ في القلب، وفي شغف الفرح الروحي الممدوح يطير القلب وراء الله هاتفا: "عطشت نفسي إلى الله الحي القوى . متي أجئ وانظر إلى وجه الله"(مز ٤٢).
كل من تذوق حلاوة هذه الخمر ثم فقدها وحرم منها يعرف جيدا أي عذاب وصلت إليه خسارته التي خسرها بسبب انحلاله.] (القديس مار اسحق السرياني)

إن كان التغصب ضروريا لمناهضة رغبات الجسد، ومهماً بالنسبة للمؤمن المبتدئ في صلاته فهو ضروري أيضا لممارسة الفضائل المسيحية التي هي ثمار الروح.

فإذ يحل الروح القدس في المؤمن يغرس فيه بذار الفضائل الروحية التي ذكرها بولس الرسول "أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف."(غل٥: ٢٢).

وهذه البذار التي غرست تحتاج إلى سقى دائم من سحائب النعمة الهاطلة مع دموع الصلاة المنسكبة ... وإلى جانب ذلك تحتاج إلى تنقية التربة القلبية باقتلاع ما فيها من شوائب تحول دون نمو هذه البذار ... لهذا وجب غصب النفس على أن تتيح الفرصة للبذار أن تثمر ... وهذا ما سماه الرسول (ضبط النفس) فقال: "كل من يجاهد يضبط نفسه في كل شئ."(١كو٩: ٢٥).

ومتى نمت هذه البذار وأثمرت لا يحتاج المؤمن فيما بعد إلى تغصب أو إرغام كما وضح رجال الله المختبرون في أقوالهم:-
* [الإنسان الذي يرغب أن يأتي إلى الرب... كل ما يغصب نفسه لأجله ويعمله وهو متألم بقلب نافر غير راضى سوف يأتي عليه يوم يعمله برضى وقبول.] (القديس مقاريوس الكبير).
* [حينما يرى الرب نية الإنسان واجتهاده، وكيف يغصب ذاته لذكره وعبادته، وكيف يرغم قلبه سواء رضى أو لا يرضى إلى عمل الخير والتواضع والوداعة والصدق، وكيف هو يبذل كل ما في وسعه يتحنن الرب عليه ويظهر له رحمته، ويخلصه من أعدائه، ومن سلطان الخطية، ويملأه من الروح القدس وحينئذ يتمم وصايا

الرب دون تغصب وإجتهاد. لأن الرب الساكن فيه هو يكون العامل فيه. وبذلك يثمر ثمار الروح بطهارة.] (القديس مقاريوس الكبير).

* [حينما يغصب الإنسان نفسه هكذا إلى كل الفضائل، ويلح في طلب وسؤال كل ما هو صالح لخلاص نفسه، ويثبت سؤاله بأعماله وجهاداته فإن الرب يعطيه روحه ليعمل به. ويكمل كل صلاح. وبدون عناء وتغصب يعمل الفضائل التي كان يتممها قبلا بكل جهد وتغصب. وتحل عليه الحكمة الروحانية ومعرفة الحق وتصير كطبيعة له لأن الله يكون ساكنا فيه.] (القديس مقاريوس الكبير).

وبالجملة يا أخي فإن التغصب أمر لازم في جميع الاتجاهات الروحية حتى لا نرضى الجسد في رغباته ضد الروح.

* [إن أمر غصب النفس على العمل هو أمر هام جدا في الأمور الدنيوية والروحية أيضا : للصلاة، لقراءة الإنجيل والكتب الروحية النافعة، حضور الخدمات الإلهية في الكنيسة، للتعليم، للوعظ، لخدمة الكلمة. لا تطع الجسد الكسول الغاش لأنه مملوء خطية "فإني أعلم أنه ليس ساكن في أي في جسدي شئ صالح."(رو٧:١٨). والجسد يشتهى أن يرتاح على الدوام غير مكترث بالهلاك الأبدي الذي يكون عوض راحته القليلة الزائلة. "ملكوت الله يغصب والغاصبون يختطفونه."(مت١١:١٢)]. (القديس مار إسحق السرياني).

(هـ) الصوم :

فالصوم يا أخي هو جهاد ضد الذات لإماتتها ، ليس ضد شهوة البطن فحسب بل ضد كل رغبات الجسد الذي هو مسكن الذات وستارها. وفي حرمان الجسد من شهواته انطلاق للروح ليتمم مشتهياته "لأن الروح يشتهى ضد الجسد والجسد ضد الروح."(غل٥:١٣).

فعدم سماحك للجسد أن يكمل شهوته هو إعلان رضاك للسلوك بالروح "أقول اسلكوا بالروح فلا تكملوا شهوة الجسد"(غل٥:١٦).

* كل جهاد ضد الخطية وشهواتها يجب أن يبتدئ بالصوم خصوصا إذا كان الجهاد بسبب خطية داخلية. (القديس مار أسحق السرياني).

* إذا ابتدأت بالصوم في جهادك الروحي فقد أظهرت بغضتك للخطية وصرت قريبا من النصرة. (القديس مار اسحق السرياني).

ومن اجل هذا قال داود النبي " أذللت بصوم نفسي."(مز٣٥:١٣).

وقال أيضا " أبكيت بصوم نفسي."(مز٦٩:١٠). ولا يفهم من هذا أن الصوم هو مجرد إذلال للنفس وتعذيب للجسد وإنما هو :-

حرمان من الطعام الأرضي للتمتع بمن السماء غذاء الروح.
حرمان من خبز الأرض للشبع بخبز الحياة يسوع.
تفريغ للنفس مما يملأ البطن استعدادا للملء بالروح.
إشارة خضوع الجسد لقيادة الروح في انسحاق وخشوع.
ضبط لكل غرائز الجسد لوضعها تحت سيطرة الروح.
إذلال للجسد حتى ينتعش الروح.

إذلال لذلك الوحش الرابض في القفص الصدري بتفريغ معلفه الكائن بالتجويف المعوي. وإخضاعه لسلطان الروح. ثم أنه بالصوم أيضا إعلان لضعفك البشرى ومسكنتك أمام الرب حتى يتحنن ويشفق عليك فيمد يد المعونة لنجدتك. هذا ما يوضحه يوئيل النبي قائلا "الآن يقول الرب أرجعوا إليَّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء

والنوح. مزقوا قلوبكم لا ثيابكم. قدسوا صوماً نادوا باعتكاف ... فيغار الرب لأرضه ويرق لشعبه ويجيب الرب ويقول لشعبه: لا أجعلكم عاراً بين الأمم والشمالي أبعده عنكم واطرده إلى أرض ناشفة ومقفرة"(يؤ٢:١٢-٢٠).

فتأمل يا أخي في قوله: "يرق لشعبه ... والشمالي أبعده" ما أرق قلب الله إذ ينظر إلى شعبه الصائم النائح فيرق له ويبعد عنه الشمالي (أي العدو الآتي من الشمال)

هكذا الأمر معك يا أخي فصومك في حد ذاته بلا قيمة وإنما هو وسيلة لتسترق بها قلب الله فيمد يده ويبعد الشمالي (أي إبليس) بعيداً عنك.
فليتك تكون قد فهمت الآن معني الصوم فهو العنصر البشري في الجهاد إذ تقدمه في انسحاق وتذلل فيكمل الرب عمله إذ يبعد عنك الشمالي.
وعلاوة على ذلك فإن الصوم هو عملية تمهيد وتهيئة القلب لقبول نعم مباركة من لدن الرب فقد قيل :-

* موسى صام أربعين يوماً ثم صعد على الجبل وتكلم مع الرب كما يتكلم الرجل مع صاحبه. وأخذ من الرب لوحي الوصايا المكتوبة بإصبع الله، ودانيال صار في الرؤيا بعد ما صام واحداً وعشرين يوماً، والفتية الثلاثة لم تؤذهم نار الأتون المحمى بسبب صومهم وصلاتهم. (القديس باسيليوس الكبير).
فلا يكون صومك مجرد فريضة تؤديها في مناسباتها ولا واجب ثقيل تتململ وتضايق منه ولا عادة تتبعها دون الاستفادة منها ... بل ليتك يا مبارك عندما تصوم تضع في قلبك كل هذه المعاني الروحية للصوم ... ثم في نهاية اليوم تحاسب نفسك عن البركات التي نلتها في أثناء فترة صومك.

(و) السهر:

"اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو."(بط٥:٨). فالسهر يا أخي هو أحد جوانب العنصر البشرى في الجهاد الروحي . وليس معنى السهر هو عدم النوم في الليل فقد يكون المؤمن نائما بينما قلبه مستيقظ . " أنا نائمة وقلبي مستيقظ."(نش٥:٢).
وإنما **مفهوم السهر** هو اليقظة الروحية الدائمة كما يتضح مما يلي:- "لسنا في حاجة إلى شئ قدر حاجتنا إلى القلب اليقظ المجاهد."(الأنبا ألمتنيح بيمن).
والسهر يا أخي يشتمل على :-

* الانتباه والصحو:

فبولس الرسول يقول : "لا ننم إذن كالباقين بل نسهر ونصح"(١تس٥:٦). فالسهر دائما يرتبط بالصحو كما يوضح أيضا معلمنا بطرس الرسول بقوله: "اصحوا واسهروا..."(١بط٥:٨).
ولهذا كتب الآباء في صلاة نصف الليل : "نبه عقولنا وأيقظ قلوبنا من نوم الغفلة."(تحليل الكهنة).
والمقصود من الانتباه والصحو هو الحذر والاحتراس من حيل إبليس وخداعه ولذلك يقول بطرس الرسول: "اصحوا واسهروا لان إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو."(بط٥:٨).
فإذ نحن في ميدان حرب دائمة مع قوات الشر الروحية لهذا يجب أن نكون متيقظين ومنتبهين على الدوام لئلا يغافلنا العدو ويقتحم حصوننا فيهلكنا.
فكن حذراً يا أخي واحترس من حيل إبليس وتجاربه لهذا يحذرنا رب المجد قائلاً: "اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة."(مر١٤:٣٨).

* التحفظ:

يقول يوحنا الرائي "طوبى لمن يسهر ويحفظ ثيابه لئلا يمشى عريانا فيروا عورته."(رؤ١٦:١٥).

فكما أن الحارس الساهر يقوم بحفظ ما يحرسه من التبديد، هكذا المؤمن الساهر يحفظ ثوب النعمة الذي اكتسى به وستر خزي عورته حتى لا يغافله إبليس ويجرده من ثيابه فيمشى عرياناً.

وكما أن الحارس الساهر لا يخشى فقط من اللصوص النهابين، بل وأيضا يتحفظ من حقد الأعداء المخربين إذ قد يغافله أحدهم ويلقى بجمرة نار على ما يحرسه فيحترق، أو يلقى ببعض المواد الضارة فيفسده.

هكذا المؤمن الساهر يتحفظ من أعدائه الروحيين، الذين يريدون إفساد قلبه بأفكار الشر والدنس أو حرقه بنار الغيرة غير المقدسة والغضب الذي لا يصنع مرضاة الله ... الخ.

لهذا كتب سليمان الحكيم قائلا "فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة"(أم٤:٢٣).

ويحذرنا هذا القديس المختبر في ساعات غفلتنا وتوانينا لئلا يأتي العدو خلسة وبغيرة حادة يرمى بذار الزوان. "وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زوانا في وسط الحنطة." (مت١٣:٢٥). (الأب يوحنا من كرونستادت).

***التسلح:**

الجندي الساهر لا بد وأن يكون متسلحاً إذ ما قيمة سهره إن كان أعزلاً من كل سلاح ؟!

هكذا المؤمن الساهر لا بد وأن يكون متسلحاً بالأسلحة الروحية ليكون مستعدا للدفاع عن نفسه متى هجم عليه الأعداء.

ولهذا كتب بولس الرسول قائلا "لنسهر ونصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص." (١تس٥:٦-٨).

ونراه في أكثر تفصيل يستعرض الأسلحة الروحية التي يجب أن يتسلح بها كل مؤمن ساهر مجاهد ضد قوى إبليس المعاند فيقول: "البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكائد إبليس ... فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة هذا العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات. من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير وبعد أن تتمموا كل شئ أن تثبتوا. فاثبتوا ممنطقين أحقاءكم بالحق. ولابسين درع البر. وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام. حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة. وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله."(أف٦:١٠-١٦).

فالسلاح يا أخي هو سلاح الله قد أعده لك ووهبك إياه، فقط عليك أن تتسلح به فهل أنت لابس منطقة الحق أى الأمانة والإخلاص؟ وهل أنت متدرع ببر المسيح أم ببرك الذاتي؟ وهل تسعى في صنع السلام حقا أم أنك متكاسل متغافل؟ وهل أنت حامل ترس الإيمان والثقة في مواعيد الرب أم أنت مزعزع الإيمان فاقد الثقة مرتاب متشكك؟ وهل كللت رأسك بخوذة الخلاص والغلبة أم تنكسها في مذلة الهزيمة والانكسار؟ وهل أنت شاهر سيف الروح الذي هو كلمة الله؟ أم أنك متوان في التسلح بالكلمة متكاسل في دراستها واستخدامها في حروبك الروحية؟.

*** الاتصال :**

من لوازم السهر في الجهاد والحرب ضرورة الاتصال. فالجنود في موقع المعركة لا بد وأن يزوُدوا بالأجهزة اللاسلكية ليكونوا على اتصال دائم بالقيادة إما لأخذ التعليمات أو طلب النجدة والمدد إذا لزم الأمر.

هكذا المؤمن الساهر المجاهد لا بد وأن يكون على اتصال دائم بالقائد الأعلى السماوي ليأخذ منه التعليمات والتوجهات، وليطلب منه المعونة والنجدة في حينها.

لهذا نرى أن بولس الرسل بعدما وضح أنواع الأسلحة الروحية مؤكدا ضرورة التسلح بها نجده يلحق ذلك بهذا التنبيه الجوهري "مصلين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة."(أف٦:١٨).

وقال أيضا رب المجد يسوع "اسهروا إذا وتضرعوا فـي كل حين لكي تحسبوا أهلاً للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون."(لو٢١:٣٦).

فكيف تهمل هذا العنصر؟ عليك أن تـتصل بقائد حياتك الظـافر ليوجهك إلى طريق الغلبة؟! لا تستسلم لكسل الجسد ونوم الغفلـة لئلا تسقط!

*** التـشدد والتـقوية :**

من المعلوم أن الشخص النائم يكون في حالة استرخاء كامل فإذا ما باغته العدو في هذه الحالة قضى عليه بسهولة إذ لا قوة له للمقاومة، فـي حين أن المتيقظ الساهر يكون متشدداً فينازل العدو بكل قوته.

هكذا الحال مع المؤمن فعندما يكون غافلاً ونائما يكون ضعيفاً واهن القوى فمتى باغته أعداؤه الروحيون وهو في حالته هذه تمكنوا من القضاء عليه!.

ولكن إذا ما كان ساهراً متيقظاً ففي لحظات يستجمع قواه ويتشدد ويستطيع أن ينازل العدو ويقهره بقوة المسيح. من أجل هذا نرى الروح ينبه ملاك كنيسة ساردس المتغافل قائلا "كن ساهرا وشدد ما بقى الذي هو عتيد أن يموت"(رؤ٣:٢).

فليتك يا أخي تتشدد وتتقوى ساهراً على حياتك الروحية حتى لا يغافلك العدو ويهلكك وأنت نائم لهذا اسمع قول بولس الرسول: "اسهروا ... تقووا"(١كو١٦:١٣).

*** الترقـب والاسـتعداد :**

فالعروس لا تنام طالما عريسها بعيداً إذ أن قلبها يظل منشغلا بيوم مجيئه ترقبه بكل لهفة بل ترسل إليه رسائل تتعجله المجيء ... وإذا كان مجيء عريسها هو لكي يأخذها حتى تقيم معه في موطنه نراها قد جهزت كل شئ لتكون على استعداد للرحيل معه في أية لحظة.

هكذا المؤمن الذي هو عروس المسيح كما يوضح معلمنا بولس الرسول بقوله "خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح."(٢كو١١:٢). نراه ساهرا متيقظا يترقب مجيء العريس الذي وعد قائلاً " أنا أمضى لأعد لكم مكانا. وإن مضيت وأعددت لكم مكانا آتي وآخذكم إلى حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً." (يو١٤:٢-٣).

وقد أوصى قائلاً "اسهروا لأنكم لا تعلمون في أية ساعة يأتي ربكم ... لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين لأنه فـي ساعة لا تظنون يأتي ابن الإنسان."(مت٢٤:).

فهل يا أخي أنت ساهر ومترقب ذلك اليوم؟ وهل أنت مستعد للرحيل؟ أخشى أن تكون كإحدى العذارى الجاهلات اللائى نمنَ ولم يكنَّ مستعدات للقاء العريس ...! فعندما جاء العريس دخلت المستعدات معه وأغلق الباب أما الجاهلات غير المستعدات فقد حرمن من الدخول ... ولهذا ينبهنا المسيح قائلاً "اسهروا إذن لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الإنسان." (مت٢٥:١٣).

وأيضا ينبهنا فيقول "لتكن أحقاءكم ممنطقة وسرجكم موقدة وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت. طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين." (لو١٢:٣٥-٣٧).

(ز) الصـبر والمثـابرة:

يقول رب المجد "من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص." (مت١٠:٢٢). ففي الصبر جهاد ضد القلق، وفيه مثابرة ضد الملل. والصبر والمثابرة يدخلان ضمن العنصر البشرى الذي تقدمه في جهادك وإذ يرى الرب فيك هذه المشاعر وهذا الاحتمال يكافئك حتما بالخلاص لأن من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص." ولهذا يقول ميخا النبي "ولكنني أرقب الرب . أصبر لإله خلاصي. لا تشمتي بي يا عدوتي. إذا سقطت أقوم ... سأنظر بره."(مي٧:٧-٩).

فما أجمل الصبر لإله خلاصك ... وما أجمل المثابرة رغم السقطات إذ ستستحق أن تنظر بر الله، إذ يبررك من كل خطية برش دمه المطهر من كل إثم. أو ليس هذا ما دعي بولس الرسول أن يقول "إن كنا نصبر فسنملك أيضا معه."(٢تى٢:١٢).

وهوذا القديس باسيليوس الكبير يوضح أهمية الصبر والمثابرة بقوله "تأمل صبر القديسين: إبراهيم أبونا دعاه الله وهو صبى ونقله من أرض الكلدانيين إلى فلسطين، ووعده قائلاً إنـي أعطيك هذه الأرض ولزرعك من بعدك. ثم تأنى الله على إبراهيم جداً حتى شاخ وكلت قوته. وما عاد له قدرة على إنجاب الأولاد، ولا سارة امرأته أيضا. ولكن ما تزعزع إيمانه وثقته بالله. فلا ينبغي أن نمل في صلاتنا حتى ولو طالت بنا السنون."

وقال أيضاً : "لعلك تقول قد سألت مرارا كثيرة ولم تأخذ شيئاً. أقول لك حقا سألت، لكن ربما سألت شيئا حقيراً! أو سألت بغير إيمان! أو بأفكار منحلة وأنت مرتاب. أو أن الذي سألته غير نافع لك أو ربما لم تدم طويلاً في سؤالك فلم تأخذ لتهاونك لأن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص!"

ثم يكمل قائلاً: " فلا يصغر قلبك (أي لا تيأس) يا ابني إذا لم تنل مسألتك (أي طلبتك) فإنه لو علم ربنا الصالح أنك لا تتلف النعمة إذا أعطاك إياها لمنحك إياها سريعاً وبدون جهاد لأنه ما يسر بأتعابنا وشقائنا."

فهل أنت كثير القلق والإضطراب سريع الملل في حياتك الروحية؟ أصبر يا أخي لتتمم خلاصك. وأحذر من الملل الذي يفقدك كل ما نلته ... واثبت في الرب بالإيمان لترى بره ... واسمع قول القديس اغريغوريوس الكبير: "اسأل الرب بمثابرة وثقة عن كل شئ يعود لخلاصك ولتقدمك في الصلاح والعبادة وأنت لن تخيب من نواله."

ثانيا: العنصـر الإلـهـي

لقد عرفت يا أخي مدى نصيب العنصر البشرى في الجهاد الروحي. ولكن في الحقيقة أن كل هذا العمل البشرى يصبح بلا قيمة على الإطلاق إن اعتمدت عليه مجرداً من الشق الثاني للجهاد القانوني ألا وهو: **العنصر الإلـهي** .

فإذا اقتصر عمل المجاهد على العنصر البشرى السابق ذكره مهملا فاعلية العنصر الإلهي فقد انحرف عن الطريق رغم أنه سائر فيه ولذلك حذرنا سليمان الحكيم قائلا: "توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طريق الموت " (أم١٤:١٢).

فمتى اتكل الإنسان على تلك الوسائل وحدها، فإنه بذلك يكون قد ألغي رسالة المسيح وعمل الروح القدس، ويكون تجسد وصلب السيد المسيح بلا سبب، ويكون انسكاب الروح القدس ومجيئه إلى العالم هو بلا داع.

ثم إن من يتكل على مجرد تأدية تلك الوسائل فقط فذلك يؤدي إلى الكبرياء والسبح الباطل لأنه آنئذ سيشعر بأن ما أحرزه من انتصارات (مؤقتة) إنما هو راجع إلى قوة إرادته وصلابة عزيمته وعظمة قدرته... وهو في الواقع مخدوع ومسكين لأن السيد المسيح قد سبق فقال "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً." (يو١٥:٥) فكيف إذن لهذا المسكين أن يتوهم أنه بمجهوداته الشخصية قد خلص من ذنب وسلطان الخطية.

ولكن اعلم يا أخي أن ما قلناه عن نصيب العنصر البشرى فـي الجهاد الروحي إنما هو بمثابة إشارة الموافقة من جانبك لعمل العنصر الإلهي فيك ومعك ولأجلك. وبهذا يصبح جهادك قانونيا.

أن العنصر الإلهي الفعال في عملية الخلاص من سلطان الخطية، والذي لابد للمؤمن أن يتيح له فرصة التدخل في جهاده لإتمام خلاصه هو الروح القدس أي روح المسيح. ويمكن أن نوضح فاعليته في المؤمن فيما يلي:

(أ) الروح القدس يحـرر:

فالروح القدس هو القوة المحررة من سلطان الخطية، فهو الذي يختن القلب أي يزيل ويقطع حواسه وميوله المنحرفة. يوضح بولس الرسول هذا الموضوع بقوله: "ختان القلب بالروح"(رو٢:٢٩).

وإذ تتم عملية ختان القلب بالروح هذه يستطيع المجاهد أن يقول مع بولس الرسول "ناموس روح الحياة في المسيح يسوع قد أعتقني من ناموس الخطية والموت."(رو٨:٢).
ألا تعلم يا أخي سر هزيمتك المتوالية؟ إن السر كامن في أنك تقوم بعدة محاولات شخصية دون أن تتقدم وتطلب انسكاب الروح في قلبك ليقوم بختانه وإماتة حواسه الجسدية !

ليتك الآن تطلب في ثقة وإيمان سكيب الروح فيك، وصل هذه الطلبة التي تعلمنا إياها الكنيسة "هلم تفضل وحل فينا وطهرنا من كل دنس أيها الصالح وخلص نفوسنا."

(ب) الروح القدس يقوى:
في أثناء رحلة الحياة عبر وادى الغربة والآلام قد يصاب المؤمن بالضعف والتراخي من كثرة مواجهاته مع عدو الخير الجائل كاسد زائر ملتمسا من يبتلعه.(١بط٥:٨).
والرب نفسه يعرف الجانب البشرى إزاء قوات الشر الروحية في السماويات ويقول على لسان بولس الرسول "إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة هذا العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات."(أف٦:١٢).

ولهذا فإن الرب لم يتركنا نحارب بمفردنا بل قد أيدنا بروح القوة " لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة بروحه في الإنسان الباطن"(أف٣:١٦).

وقد وعد الرب المؤمنين بهذه القوة التي تسند ضعفاتهم بقوله "ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم." (أع١:٨).
ولهذا يصيح الرسول صيحة النصر والغلبة قائلا "لأن الله لم يعطنا روح الفشل بل روح القوة." (٢تى١:٧).

ففي جهادك يا أخي تحتاج أن تتأيد بروح القوة هذا فهو يقوى عزيمتك الخائرة، وهو يحول فشلك إلى نصرة، وضعفك إلى قوة "وكذلك الروح أيضا يعين ضعفاتنا."(رو٨:٢٦).
ليتك يا أخي تختبر فعلاً وعمليا في حياتك قوة الروح القدس !

(جـ) الروح القدس يشفع:
" لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها."(رو٨:٢٦).
إن سر النصر في الحرب الروحية هو وجود الله مع المجاهد، ولكن إذا دخل المجاهد المعركة بمفرده كان لقمة سائغة للعدو الشرير.

وحيث أن الإنسان ليس خبيراً بهذه الحروب الروحية فلا يعرف ما يجب أن يصلى لأجله كما ينبغي، لهذا فالروح الساكن في قلبه يشفع فيه ويعين ضعفاته "وكذلك الروح يعين ضعفاتنا لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها."(رو٨:٢٦).

فيا أخي يا من لك كل هذه الامتيازات لماذا لا تستفيد بها؟ ولماذا تترك نفسك فريسة في يد أعدائك؟ أو ليس مكتوبا " قد هلك شعبي من عدم المعرفة."(هو٤:٦). لذلك كتب الحكيم قائلا: "بالمعرفة ينجو الصديقون."(أم١١:٩). وقال أيضاً "ذو المعرفة متشدد القوة." **(أم٢٤:٥).**

فليعطك الرب أن تعرف هذه الامتيازات ويفتح قلبك لتدرك فاعليتها في حياتك فتطالب بها وتختبر حياة الغلبة بالروح القدس.

ثالثاً: تضـامن العنصـرين

مما سبق قد تأكد لك أنه لا بد من تضامن العنصر البشرى مع العنصر الإلهي لإتمام خلاصك، ولتوضيح اندماج هذين العنصرين نضع أمامك هذه الصورة العملية:

١- فبالإرادة تسلم ذاتك لقيادة الروح القدس ليتمم خلاصك.
٢- وبالأيمان تثق في قوة الروح القدس لاتمام خلاصك.
٣- وبالهروب تلجأ إلى أحضان الروح القدس فيحميك ويتمم خلاصك.
٤- وبالتغصب تنهض الروح القدس الساكن فيك فيتمم خلاصك.
٥- وبالصوم تستعطف الروح القدس فيعمل لاتمام خلاصك.
٦- وبالسهر تتسلح بأسلحة الروح التي بها يتم خلاصك.
٧- وبالصبر والمثابرة تثبت في الروح القدس الذي يتمم خلاصك.

فليتك يا أخي تبدأ من الآن في حياة الجهاد القانوني فلا تهمل الواحد وتترك الأخر ... أي لا تعتمد على مجهوداتك البشرية تاركا فاعلية الروح القدس روح المسيح الذي بدونه لا تستطيع أن تفعل شيئاً. وأيضا لا تتواكل على عمل الروح القدس مهملاً نصيبك في الجهاد إذ لا بد أن تتمم خلاصك بخوف ورعدة.(فى٢:١٢).

ميـدان الجـهاد

أولاً:- الأعداء الروحيين.
ثانياً:- قوات الأعداء.
ثالثاً:- الأسلحة الروحية.

مقدمـة

إذ نحن في ميدان حرب وجهاد دائم علينا أن نضع خطة شاملة للصمود حتى الظفر. ولكي تكون خطتنا دقيقة متينة علينا أن نتعرف على:
+ شخصيات الأعداء
+ ثم على قواتهم
+ وأخيرا نعرف الأسلحة التي نستخدمها في الحرب ضدهم لنحرز الغلبة والانتصار.

أولاً: شخصيات الأعداء

في حرب بورسعيد عام ١٩٥٦ كان الظن في بادئ الأمر أنها حرب بين إسرائيل ومصر ولكن سرعان ما تكشفت الحقيقة بظهور إنجلترا وفرنسا في ميادين الحرب ... ولهذا وضعت خطة حربية حكيمة لمواجه الأعداء الثلاثة مجتمعين.

هكذا الحال يا أخي في الحرب الروحية فلا تظن أنك تحارب عدوا واحدا بل ثلاثة أعداء مجتمعين هم :

١) الجسد. **٢) العالم.** **٣) الشيطان.**

(١) الجسد:

يقول الرسول "إن الجسد يشتهي ضد الروح. والروح ضد الجسد."(غل٥:١٧) والجسد هو الإنسان العتيق الفاسد بنزعاته القديمة واتجاهاته الشريرة.

ورب معترض يقول : إن جسد الخطية قد صلب تماما إذ يقول بولس الرسول "لكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات."(غل٥:٢٤). وهذا يعني صلب الإنسان العتيق أيضا إذ يقول الرسول "عالمين هذا أن أنسأننا العتيق قد صلب معه."(رو٦:٦).

هذا صحيح ولكن بالرغم من هذا نجد أن الإنسان العتيق لا زال حيا وله شهواته كما يقول الرسول: "لا تملكن الخطية في جسدكم المائت، لكي تطيعوها في شهواته."(رو٦:١٢). فمن هذا يتضح أن جسد الخطية مائت، ولكن الرسول يقول أن لهذا الجسد المائت شهوات يحذرنا منها.

ثم يعود الرسول فيقول "اسلكوا بالروح فلا تكملوا **شهوة الجسد** لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلوا ما لا تريدون."(غل٥:١٦-١٧).

فهذا الجسد (جسد الخطية) يشتهى ضد الروح وينشب بينهما صراع عنيف يرجح المؤمن كفة أحدهما ... ولهذا يوصينا الرسول قائلا : "إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون."(رو٨:١٣).

فكيف نوفق إذاً بين قول الكتاب عن (جسد الخطية) أنه صلب، ثم قوله أنه لا زال حياً وله شهواته ومقاومته.

التوفيق يا أخي سهل ميسور لأنه يشمل خطة الخلاص كلها، فإذ نؤمن بشخص المصلوب ونرضى أن نصلب معه يصدر الحكم فوراً بإعدام الإنسان العتيق، ويقبض عليه ويسجن في زنزانة داخلية ويشدد عليه الرقابة حتى يتم حكم الإعدام الفعلي وذلك يوم أن يأتي الرب على السحاب. وفي الفترة ما بين صدور الحكم وتنفيذه يقوم هذا الجسد بعدة محاولات للإفلات من سجنه وهذه هي شهواته ومقاومته التي يجب أن يحترس منها المؤمن.

فأحذر يا أخي من هذا العدو المشاغب. فقد احترس منه سابقاً معلمنا بولس الرسول فقال "أقمع جسدي وأستعبده"(١كو٩:٢٧) ولهذا فهو يحذرنا قائلا: "لا تصنعوا تدبيرا للجسد لأجل الشهوات."(رو١٣:١٤).

(٢) العالم:

يقول يعقوب الرسول "محبة العالم عداوة لله"(يع٤:٤) ويقول يوحنا الحبيب "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم."(١يو٢:١٥)

والمقصود بالعالم هو كل ما فيه من أشياء تجذبنا للخطية من المغريات، والملذات، والمال، والمطامع، والأزياء الخليعة، والتسليات الدنسة، ... الخ.

فالمؤمن الذي خرج من كورة العالم واستقر قلبه في جو السماء ... لا زال جسده في العالم وقد يخدعه العالم ببريقه المزيف محاولاً إرجاعه إلى حياته القديمة ... ولكن احذر يا أخي من العودة ثانية إلى قيئك أو إلى طين البركة التي خرجت منها. "فالعالم يمضى وشهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد."(١يو٢:١٧).

(٣) الشيطان:

هذا العدو الجبار دائما يقاوم الله ويغرر بشعبه، محاولاً إقصاء المؤمن عن الله بكل وسيلة وأخرى ليحرمه من السعادة والحياة الأبدية والملكوت السماوي والمجد الأسمى.

وقد وضح لنا الكتاب خطورة هذا الخصم العنيد في أقوال كثيرة، فقد قال رب المجد يسوع "هوذا الشيطان طلبكم لكي يغربلكم كالحنطة."(لو٢٢:٣١).

ومعلمنا بولس الرسول يقول: "إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات."(أف٦:١٢).

ومعلمنا بطرس الرسول يقول "إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه هو."(١بط٥:٨).

فيا أخي المبارك لا تسقط هذا العدو من حسابك لئلا تغفل فيمزقك ... احترس من حيله ومن خداعه ومن مكايده وسهامه التي سنوضحها فيما بعد.

والواقع إن خطورة هذا العدو كامنة في أنه يستخدم العالم والجسد في تكتيكات حروبه لإتمام مقاصده ... فهو يثير الجسد (الإنسان العتيق) في المؤمن ليقوم عليه من الداخل وفي نفس الوقت يثير مغريات العالم عليه من الخارج فيوجد المؤمن بين (الكماشة) وهى خطة حربية خطيرة فيصبح المؤمن محصوراً بين ضغطات من الداخل وضغطات من الخارج والشيطان نفسه من فوق في جو السماء لأنه رئيس سلطان الهواء.(أف٢:٢).

فإذا كان المؤمن بمفرده في المعركة سقط صريعا لا محالة. من هذا يتضح قيمة وجود الله ذاته في أرض المعركة إلى جوار المؤمن ليدافع عنه، "الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون."(خر١٤:١٤).

ولكي نحرز النصر على قوى الأعداء يجب أن نعرف أسلحتهم حتى نستخدم الأسلحة المضادة لها.

ثانياً: قوات الأعداء

إن لأعدائنا الروحيين جيوشاً منظمة ذات قوات مسلحة برية وبحرية وجوية.

(١) القوات البرية:

أسلحة إبليس التي يستخدمها ضدنا في هذه الحرب البرية هي :

(أ) مغريات العالم:

فيوجه إلى عينيك وحواسك هذا السلاح من ملذات وشهوات ليغريك ثانية ليردك إلى أحضانه كما كنت من قبل ... فيعيد إلى فكرك حياتك الأولى ... ويحاول أن يجذبك عن طريق وسائل التسلية العالمية أو زينة بنات العالم ... الخ.

ولقد نجح العدو في إصابة ديماس بهذا السلاح إذ قال عنه بولس الرسول "ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر"(٢تى٤:١٠).

فأحذر يا أخي من هذا السهم الملتهب الذي يوجهه إلى قلبك عدو الخير. ولا تعود تنظر إلى العالم ومباهجه فقد خرجت منه فلا تعود تنظر إلى ورائك لئلا تهلك ... لا يتعلق قلبك بأرض مصر لئلا تهلك في برية الجهاد.

ألم يصلب العالم لك وأنت للعالم؟(غل٦:١٤) أي أن العالم لا يعود يؤثر فيك وأنت لا تتأثر به لأنك قد مت عنه ومات هو بالنسبة لك.

فأحذر يا أخي لئلا يغريك إبليس ببريق العالم الكاذب فيحيا فيك من جديد.

(ب) ملذات الجسد:

هذا هو السلاح البرى الثاني الذي يحارب النفس كما وضح معلمنا بطرس الرسول إذ قال " أيها الأحباء أطلب إليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس."(١بط٢:١١).

ألم يوجه إبليس طعنة نجلاء بهذا السلاح إلى قلب شمشون فأرداه قتيلاً ؟!

أو لم يرشق به قلب داود النبي ففرَّ على وجه الأرض طريداً بعد أن كان ملكا مكرماً ؟!

فاحذر يا أخي من (كمين) ملذات الجسد، فغالبا ما يتخفى إبليس في هجماته بهذا السلاح حتى إذ يطمئن إلى استسلامك فيباغتك فجأة بهذا الخطر الداهم ويتسلط عليك. لهذا يحذرنا بولس الرسول قائلا "لا تملكن الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية."(رو٦:١٢-١٣).

(ج) محبة المال:

"فالمال أصل لكل الشرور إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة." (١تى٦:١٠).

ألم يهزم الشيطان يهوذا بهذا السلاح الماضي إذ باع سيده من أجل محبة المال؟ يهوذا الذي سار مع المسيح وتمتع بجماله ورأي معجزاته وأخذ منه سلطانا على الأرواح النجسة وعمل المعجزات. ونادى باسم المسيح ... ثم يوجه إليه إبليس هذه الضربة القاضية فتنتهي حياته على أشر ما يكون!!

أو ليس حنانيا وسفيرة قد أصابهما هذا السهم المميت فأودى بحياتهما؟ ... إذ بعد أن آمنا وانضما إلى جماعة الرب لم تزل محبة المال متملكة على قلبيهما فأخفيا جزءاً من ثمن الأرض !!

أخي أخشى عليك من محبة المال إذ أن إبليس يخدعك بهذا السلاح ويموه عليك بحجة أنك تؤمِّن مستقبلك ومستقبل أولادك بما تدخره لهم من أموال ... ثم ينقلب الأمر في قلبك إلى شهوة مال تستعبدك فتصير ضمن الأسرى الذين قبض عليهم العدو في هذه المعركة ...!

وقد اتخذت محبة المال لونا جديداً في حياة الخدام. فقد تكون أمينا للصندوق أو مسئولا في الكنيسة وتجمع المال للخدمة والمشروعات ... وحقيقة أنت لا تجمعه لنفسك فإنك أمين حقا ولكنك عبد لمحبة المال والدليل على ذلك أنك تفرح بتحصيله وتسر بزيادة أرقام الرصيد ... وفي ذات الوقت تحزن إذا رأيت بند المصروفات بدأ يتضخم.

عزيزي، إن سهم محبة المال لا يصيب من يجمعونه لأنفسهم فحسب بل أيضا الأمناء عليه متى تعلقت قلوبهم بحب التحصيل وبغضة التوزيع !!

(د) محبة الذات:

ذاتك التي صلبت مع المسيح في طريق الخلاص فقلت يوما "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في." (غل٢:٢٠). سيأتيك الشيطان ليثير الذات فيك من جديد بعد أن تكون قد قطعت شوطاً في طريق النعمة ... فإن كنت متغافلاً نجح في إلقاء بذار الزوان ...

آه يا أخي من سلاح محبة الذات، أليس هو السلاح الذي كاد إبليس أن يطعن به يعقوب ويوحنا عندما ذهبا إلى المسيح يطلبان منه أن يجلس واحد عن يمينه والآخر عن يساره في مجده. (مر١٠:٣٧) إنها الأنانية الممقوتة سواء في النواحي المادية العالمية أو في النواحي الروحية ... انتبه يا أخي جيدا لئلا ينجح إبليس في القضاء عليك بهذا السلاح.

إن الأربعة البرص الذين كانوا جالسين على باب السامرة أيام أن كانت تحاصرها جيوش الآراميين وصار جوع شديد في السامرة حتى أكل الناس الحمير وزبل الحمام ووصل بهم الأمر إلى أن أكلت الأم ابنها (٢مل٦) لقد فكر هؤلاء البرص - أن يذهبوا إلى معسكر الأعداء فإن أطعموهم نجوا من الموت جوعا، وإن قتلوهم فقد رحموهم من مصارعة الموت البطيء بسبب الجوع.

وعندما ذهب البرص إلى خيام الأعداء لم يجدوا أحدا من الأعداء لأن الرب قد أرهبهم فتركوا الخيام وفروا ... فأكل البرص وشبعوا ثم بدافع الأنانية أخفوا ذهبا وفضة وثيابا ... ولكنهم انتبهوا أخيرا لخطة إبليس هذه "فقال بعضهم لبعض لسنا عاملين حسنا. هذا اليوم هو يوم بشارة ونحن ساكتون فإن انتظرنا إلى ضوء الصباح يصادفنا شر. فهلم الآن ندخل ونخبر ..." (٢مل٧:٩).

وبهذا نجوا من الموت بسلاح الأنانية. فاحذر يا أخي لئلا تحيي في قلبك محبة الذات القديمة !

(هـ) العادات القديمة:

سيحاربك إبليس أيضا بهذه الأسلحة فإن كنت قد تخلصت من الخمر سيحاول أن يغريك بمحبة الكأس ثانية. وإن كنت قد انتصرت على السجائر سيجاهد ضدك ليجذبك إليها ثانية. وإن كنت أيتها السيدة أو الفتاة قد أقلعت عن ثياب الخلاعة والتبهرج سيحاول جاهدا معك ليثنيك عن عزمك ...

أخشى عليك يا أخي من أن تخضع لهمسات العدو ظانا أنها من صديق مخلص، وحينئذ سوف يتكشف لك الأمر أخيرا عندما ترى أن الأواخر قد صارت لك أشر من الأوائل (٢بط٢:٢٠-٢١).

ولكن اعلم أنه إن كانت نفسك متلذذة بالرب فلن تبحث قط عن أي لذة أخرى لأن "النفس الشبعانة تدوس العسل" (أم٢٧: ٧).

هذه هي بعض أسلحة القوات البرية الشيطانية ولنستعرض الآن :

(٢) القوات البحرية:

ففي المعارك البحرية تصوب القذائف إلى البواخر لإغراقها في لجة البحار أو المحيطات فتهوى بمن فيها إلى الأعماق.

وهكذا نرى أن لإبليس قوات بحرية لإغراق سفن حياة المؤمنين في لجة التهلكة مستخدما أسلحة منها:

(أ) الشـكوك :

يحاول إبليس أن يشككك في وجود الله وفي محبته لك وفي قدرته على خلاصك وفي حقيقة تجديدك وفي رجاء مجيئه المبارك ليأخذك معه .. الخ.

ألم يسقط بطرس نفسه صريعا من إحدى هذه القذائف عندما أمره سيده أن يسير على الماء، ثم ابتدأ يغرق فقال له المسيح رب المجد "يا قليل الأيمان لماذا **شككت**" (مت١٤: ٣١) وفي الحال مد يسوع يده وأمسك به!

(ب) الـخـوف:

يحاول الشيطان أن يخيفك من أخطار الطريق الروحي وبأنك لا تستطيع أن تحتمل السير فيه قاصداً أن يثنى عزيمتك ويعوق سيرك. ويبلغ به الجرأة أن يخيفك من جبروته وأنك سوف لا تقوى عليه!

من يقرأ كتاب (سياحة المسيحي) يستطيع أن يرى مدى اعتماد إبليس على هذا السلاح ليرهب قلب السائر إلى أورشليم السماوية. إذ يذكر يوحنا بنيان مؤلف الكتاب أن المسيحي وهو المؤمن الذي خرج من مدينة الهلاك (أي العالم) إلى مدينة النور (أي أورشليم السماوية) قد صادف في الطريق محاربات عديدة ومخاوف شديدة نذكر منها قصة الأسدين :

ففي الطريق كان عليه أن يدخل في نفق كان الظلام قد خيم عليه فجعل يحدق بنظره في ذلك النفق وهو يمشى فرأى أسدين عند نهاية النفق. فارتاع وكان ذانك الأسدان مقيدين بسلاسل لم يكن يراها. ولذلك غلب عليه الخوف وهمَّ بالرجوع لأنه لم يتصور قدامه سوى الموت ... فرآه ملاك فناداه قائلا: يا صاح هل قوتك ضعيفة هكذا. لا تخف من الأسدين فإنهما مقيدان وقد وضعا هنا لأجل امتحان إيمان المؤمنين وإظهار الذين لا إيمان لهم. فاسلك في وسط الطريق من بينهما فلن يصيبك أدنى ضرر. فواصل المسيحي السير في الطريق مرتعدا من صوتهما إذ كانا يزمجران عليه ويزأران لكنهما لم يستطيعا أن يمساه بسوء . ولما تجاوزهما صار يطفر فرحاً.

فيا أخي لا ترتعب من الشيطان فهو مقيد ولا يستطيع أن يمسك إذ يقول يوحنا الحبيب "المولود من الله يحفظ نفسه والشرير لا يمسه." (١يو٥: ١٨).

(ج) الـقلـق:

وهو سلاح آخر من أسلحة العدو البحرية ليغرقك في لجة الهموم والارتباكات، فيجعلك تفكر في مشاكل المستقبل ومتاعب الحاضر ومآسي الماضي ...

وإذا استسلمت إلى هذه الأفكار غرقت سفينتك في محيط القلق والأوهام فاحذر من ذلك وسلم أمورك لليد الأمينة المدبرة.

قال رجل الله المختبر: "الشيطان عندما يدرك أننا متضايقون بسبب شعورنا بأعمالنا الشريرة، يضع في نفسه أن يلقى علينا حملاً إضافياً من الرصاص وهو القلق .. فإن قبلناه يتبع ذلك حتما انجذابنا إلى تحت بسبب الثقل ساقطين في عمق البؤس الذي أنت فيه الآن." (القديس يوحنا ذهبي الفم).

(د) الحـزن :

وثمة سلاح آخر يصوبه إبليس إلى قلب المؤمن فيفسد عليه حياته، وهو روح الحزن والكآبة.

والحزن وليد الخوف والقلق، وإذا تملك على إنسان عرض حياته لخطر الهلاك.

وقد قال القديس المختبر: "روح الحزن المفسد يظلم النفس ويحرمها من رؤية الله ويمنعها من كل صلاح. هذا الروح الشرير إذا ملك على النفس واستحوذ على الإرادة لا يجعلها تصلى بفرح روحاني ولا يدعها تثابر على قراءة الكتب باجتهاد لئلا تعثر على مفتاح النور فتخرج من فخ الظلمة المخيم عليها".

ويكمل قائلا: "ويصير الإنسان متكاسلاً في كل عمل مبغضا للعبادة والصلاة مسلوب الإرادة من رجاء الخلاص. ويهدم كل ما فيه من اشتياق نحو الحياة الأبدية حتى أنه يقيده بقيود اليأس من رحمة الله.

ويخلص إلى هذه الحقيقة فيقول "لذلك وجب أن نسهر ونجاهد ضد روح الحزن المفسد لأنه كما تأكل العته الثوب ويتهرأ، وتأكل الدودة العود الأخضر فيبيس، هكذا هذا الروح المفسد يضعف النفس ويجعلها جافة لا تقبل كلمة نصيحة أو مشورة من إنسان أو تجيب بكلمة هادئة وديعة. بل يملأها مرارة وضجراً وحسداً. ويشير على النفس أن تفر من الناس لزعمها أنهم سبب قلقها وأتعابها. ولا يترك النفس البائسة لتعرف أن سبب شقاوتها

وبلوتها هو ليس من الخارج بل من الداخل. لأنه واضح أن الإنسان لا يتوجع من آخر إلا بسب مرض النفس المختفي في أعماقها. لذلك قال السيد نظف أولا داخل الكأس."

(يوحنا كاسيان).

(هـ) الضجر:

ما أخطره سلاح على المؤمن إذا أصيب به ضاقت نفسه من كل شئ ، من الكنيسة ومن البيت من الأصدقاء ومن الأقرباء .. لا يعود يطيق شيئاً لا كلام اللين ولا كلام العنف .. بل يصبح متململاً من كل أمر، من الصلاة ومن الكتاب المقدس، ومن قراءة الكتب الروحية ... هذه الحالة قال عنها أيضا ذلك القديس المجاهد : "أما روح الضجر فهو زميل روح الحزن المفسد، وهو متولد منه ويأتي على الإنسان بكسل وتراخى وبغضة للمكان الجالس فيه وحتى الأشخاص الذين يسكن معهم ولكل عمل كان وحتى لقراءة الكتاب المقدس ... وليس من علاج لذلك إلا بتعود الكف عن كلام البطالة والمزاح والمثابرة على الصلاة والعمل ... مع طلب معونة الله."

(القديس يوحنا كاسيان).

(و) اليـــأس:

ولعل هذا هو أقوى أسلحة الشيطان البحرية وخاصة إذا نجح في إسقاطك في أي خطية أخرى، ففي دوامة الحزن والشعور بالفشل يمد هذا السيف الحاد ليقطع رجاءك في الخلاص. فهو بمثابة الطرقة الثانية على الرأس المصاب للقضاء على الحياة، أو الضربة القاضية بعد صراع طويل على حلبة الإيمان.

فلا تستسلم لليأس يا أخي فالرب قادر أن يقيمك. وما أجمل ما كتبه قديس الله في هذا الصدد: إن كان - رجوعك إلى بهائك الروحي السابق - يبدو أمراً مستحيلا بالنسبة للبشر لكن كل شئ مستطاع لدى الله فهو: "المقيم المسكين من التراب . الرافع البائس من المزبلة ليجلسه مع أشراف شعبه." (مز١١٣:٧-٨).

إذاً لا تيأس من تغييرك تغييرا كاملاً ... إن كان الشيطان لديه هذه القدرة بأن يطرحك أرضا من العلو الشامخ والفضيلة السامية، إلى أبعد حدود الشر، فكم بالأكثر جدا يكون الله قادر أن يرفعك إلى الثقة السابقة، ولا يجعلك فقط كما كنت ، بل أسعد من ذي قبل." (يوحنا ذهبي الفم).

N. & P. Frs. Vol. 1XP.

بعد أن تكلمنا عن الحرب البرية والحرب البحرية نتكلم عن الحرب الجوية.

(٣) القوات الجوية:

إن أقسى حرب يا أخي يجتازها المؤمن قبالة قوات الشر الروحية هي الحرب الجوية. إذ يرتفع إبليس إلى العلو الشاهق فيجذب أنظارنا معه إلى التعالي وعندئذ يسدد قذيفته الفتاكة التي تودي بحياة المؤمن في لحظة.

لهذا قد سمى الأباء المختبرون هذه الحرب "بحرب العظمة، والقذيفة التي يفجرها العدو هي الكبرياء. ومن هنا يتضح خطورة هذه الحرب أيضا إذ أنها تصيب المتقدمين في الحياة الروحية. وقد قال القديس يوحنا كاسيان في هذا الصدد:

شيطان العظمة روح خبيث لا يصيب إلا البالغين في القامة الروحية ليهدم برج فضائلهم. كل الأوجاع تحارب في البدايات ما خلا هذا الوجع الرديء فهو يصيب في النهاية، لذلك فضرره عظيم وكسرته شديدة.

وزاد الأمر وضوحا بقوله:

شر العظمة إذا ملك على النفس البائسة يكون كالقائد المنتقم عندما يحاصر مدينة شامخة ويظفر بها، فإنه يهدمها ويدك أساساتها !

وقد دلل على ذلك بقصة الملاك الساقط قائلا :

يشهد بذلك الملاك الذي سقط من السماء من علو رئاسته بسبب العظمة! الذي لم يرد أن يسند الخير والقوة التي كانت فيه إلى خالقه بل شاء أن يجعلها لنفسه. وفي ذلك يبكته النبي قائلا: كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح؟ كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم؟ وأنت قلت في قلبك أصعد إلى السماوات أرفع كرسي فوق كواكب الله! أصعد فوق مرتفعات السحاب، أصير مثل العلي! لكنك انحدرت إلى الهاوية، إلى أسفل الجب. (اش١٤:١٢-١٥).

ونبي آخر يقول : "لماذا تفتخر بالشر أيها الجبار؟... أحببت الشر أكثر من الخير... لسانك غاش لذلك يهدمك الله إلى الأبد. ويقلعك من مسكنك ويستأصلك من أرض الأحياء. فيرى الصديقون ويخافون وعليه يضحكون. هذا هو الذي لم يجعل الله له عونا ولكنه وثق بكثرة غناه واعتز بفساده". (مز٥٢: ١-٧)

إذا فلنحذر من شيطان العظمة وترفعه المهلك الذي يجلب الموت علينا قائلين مع بولس الرسول "لنا هذا الكنز في أوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا." (٢كو٤:٧). وأيضا "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا" (يو١٥:٦).

في هذه الحرب الجوية يملك إبليس أقوى واخطر سلاح وهو الكبرياء فإذا ما سدده نحو المؤمن أحدث فيه إصابات بالغة في القلب، والراس، واللسان، والنفس، والأعصاب **...** فإذا وجدت هذه الظواهر في حياتك كان ذلك دليلا قاطعا على أنك قد أصبت بهذه القذيفة الفتاكة. ولنستعرض الآن إصابات تلك الضربة القاضية:

(أ) إصابات القلب :

فبداية الكبرياء يا أخي هي في القلب من الداخل قبل أن تظهر للآخرين. ونستطيع أن نشبه الكبرياء بمرض السرطان الخبيث إذ يظل مختفيا في مراحله الأولى في الجسم من الداخل حتى إذا ما ظهرت أعراضه في الخارج عسر علاجه.

ومظاهر إصابات القلب بضربة الكبرياء تتضح في:

+ الإعجاب بالنفس :

هذه الضربة تلاحق المؤمن المصاب بالكبرياء في كل تصرفاته، في صمته وفي كلامه، في صومه وفي إفطاره، **...** لهذا قال القديس يوحنا الدَّرَجي "ويحي **...** إذا صمت استحوذ العجب عليَّ، وإذا نقضت صومي حتى لا يُعرف تدبيري استولى العجب عليَّ أيضا. إذا لبست ثيابا بهية استحوذ العجب عليَّ، وإذا لبست الحقيرة غمرني العجب أيضا.

متى تكلمت داخلني العجب، ومتى صمت (سكت) انقهرت له أيضا. كلما طرحت عنى هذا المثلث ذا الثلاث شعب تبقى له دائما شعبة منتصبة.!"

وقد ذكر عن نفسه اختبارا في محاربة روح العجب فقال : حدث في جلوسي في مجمع من الناس أن وافاني شيطان العُجْب وجلس بجانبي، فلكز جنبي قائلا: حدِّث الناس عن أعمالك في البرية، فانتهرته مرددا قول داود النبي "فليرجع المفتكرون عليَّ بأفكار ردية."

فانبرى لي عن يساري شيطان الكبرياء قائلا: ما أحسن ما عملت وما أصوبه، لقد صرت عظيما إذ قهرت أمي الخالية من الحياء (يقصد شيطان العُجْب). فأجبته بقول داود "وليرجع بالخزي سريعا جدا القائلين لي حسنا، حسنا."

فلما استخبرت كيف أن شيطان العُجْب هو أم الكبرياء! قيل أن العُجْب هو تذكية النفس وبداية ارتفاعها. أما الكبرياء فهي التي تستلم النفس لترفعها إلى السموات لتهوي بها إلى الأعماق. لهذا قيل: "الويل لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسنا". (القديس يوحنا الدرجى).

+ الانتفاخ والتشامخ :

يوضح الوحي قائلا: "قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح". فالتشامخ والانتفاخ هما ذات مرض الكبرياء في بدايته عندما يصيب القلب من الداخل فيظن المنتفخ أنه قد صار كاملا ويبتدئ أن يتشامخ في قلبه على أقرانه فيظن أنه أفضل منهم علما وتقوى.

وقد شَخص الآباء القديسون هذا المرض في أقوال عديدة منها "الذين تقدموا قليلا في معرفة الصلاة وقوتها، إذا لم يتمسكوا بالاتضاع ينتفخون ويسقطون. فالحية عينها التي أسقطت آدم بعلة الكبرياء قائلة أنك ستصير كاملا كالله، لا زالت توحي بالكبرياء في قلوب بني البشر. وتهمس في قلب الجاهل: لقد صرت كاملا، ها قد ملكت زمام المعرفة، وصرت غنيا، وليست لك حاجة لأحد. طوباك." (القديس مقار الكبير).

"لا يرفض الله إنسانا ما ويكرهه إلا إذا وجد عقله امتلأ بأفكار العظمة والافتراء. فيقع حتما في إحدى مصيبتين إما الزنا أو التجديف. فمن يتعظم بفضيلته حتما يقع في زنى نجس. ومن يتعظم بجودة العقل يقع في التجديف على الأمور الإلهية." (القديس مار اسحق).

+ السبح الباطل:

هو رغبة كامنة في القلب من الداخل تشتهى المدح من الناس. وتتكون هذه الرغبة نتيجة العجب بالنفس والانتفاخ والتشامخ. هذا المرض الداخلي له أطوار مختلفة تبدأ بالارتياح عند سماع المدح ثم يتطور إلى مرحلة أخرى وهي انتظار كلمات المدح عقب كل عمل أو خدمة أو عظة. والمرحلة التالية هي أنه يحزن ويكتئب إذا لم يسمع كلمات المدح والإعجاب. والمرحلة التي تتبع ذلك هي أنه يسعى إلى طلب المدح بوسائل متعددة كأن يفتح مواضيعاً تقود الغير إلى امتداحه ... الخ.

ولخطورة هذا المرض قال عنه القديسون: "السبح الباطل مصيبة مخفية يندس في كل عمل صالح وفي كل فضيلة ليفسدها... فهو ينتظر المجاهد حتى ينمو قليلا في الفضيلة فيأتي ويفسده... ويجعله شغوفا بأن يكشف كل مقتناه الروحي." (القديس يوحنا الدرجى).

ولهذا فالسبح الباطل يمثل نقطة تحول كبيرة في أعراض مرض الكبرياء فبعد أن كان مستترا في القلب طول المراحل السابقة نراه يبدأ في الظهور إذ أنه يجعل صاحبه شغوفا بأن يكشف كل مقتناه الروحي.

(ب) إصابات الرأس:

ونقصد بإصابات الرأس عندما يغزو مرض الكبرياء رأس المؤمن. عندما تصيب هذه الضربة الشيطانية رأسه ليرتفع على الآخرين. ومظهر هذه الضربة يتضح فيما يلي :

حب الرئاسة:

وقد نشأت من تفكير المتكبر في نفسه أنه أفضل الناس وأقدرهم وأغزرهم علما. ولهذا فقد امتلأت رأسه بأنه أحق الجميع بالقيادة والرئاسة عليهم. "الرجل المتعظم القلب يرتاح أن يترأس على غيره. ليت الرب يرحمنا من هذا الداء ومن سقطاته المُرَة." (القديس يوحنا الدرجى).

حب التعليم:

لا أقول حب الخدمة بل حب التعليم، فالمتكبر لا يخدم الناس بل يخدم نفسه. فهو يشتاق إلى التعليم لا ليقود النفوس إلى يسوع المخلص، وإنما يشتهى التعليم من أجل الشهرة بإظهار العلم والكفاءة، ولمثل هذا المنتفخ كتب يعقوب الرسول قائلا: "لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخوتي عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم." (يع٣:١).

الكرامة:

ومن ضربات الرأس الاعتزاز بالكرامة، وطلب التقدير والاحترام من الناس بناء على اقتناعه الداخلي بتفوقه عليهم وسموِّه عنهم. فصريع الكبرياء مائت بالكرامة كما وضح الآباء : "الكرامة والكبرياء كانتا في البدء علة سقوط آدم بواسطة الحية. ولا زالت إلى الآن تستعمل الحية وسيلتها وهى مختبئة في القلوب لتطرح وتهلك جنس المسيحيين بعلة الكرامة واحترام النفس. لذلك اتخذ المسيح صورة عبد وغلب الشيطان بالتواضع ليعلمنا النصرة." (القديس مقاريوس الكبير).

(ج) إصابات اللسان:

إن مرض الكبرياء المستقر في القلب يظهر طفحه على اللسان لأنه "من فضلة القلب يتكلم الفم."(مت ١٢:٣٤).

ومظاهر تطرق هذه الضربة إلى اللسان يتضح في الآتي:-

الافتخار :

وهو السماح للسان أن يعبر عن كبرياء القلب الداخلي. ولذلك كتب القديس يعقوب الرسول قائلا: "هكذا اللسان أيضا هو عضو صغير ويفتخر متعاظما."(يع٣:٥).

والمفتخر يكشف عن فضائله بغية ربح المجد من الناس. ولكن اسمع يا أخي قول القديس مار اسحق السرياني: "اعلم أن كل أمر يفتخر به الإنسان يسمح الله بتغييره ليتواضع."

الادعاء :

هو مرحلة متطورة من الافتخار. فبينما الافتخار هو التكبر بالأعمال التي يقوم بها المفتخر، فالادعاء هو أن ينسب المدعى لنفسه فضائل ليست فيه وأعمالا لم يقم بها. عن مثل هؤلاء كتب القديس بولس الرسول قائلا: "متعاظمين مدعين"(رو١:٣٠) موضحا بهذا أن علة الادعاء هي التعاظم والكبرياء.

الـريـــاء:

والمدعى يصير بالضرورة مرائيا **...** فهو لا يظهر على حقيقته بل يخفى خطاياه وعيوبه عن الناس في حين أن قلبه لازال متعلقا بها. هذا هو ما كتب عنه بولس الرسول قائلا: **"**لهم صورة التقوى ولكنهم ينكرون قوتـــها**"**(٢تى٣:٥).

والسيد المسيح قد صب الويلات على الكتبة والفريسيين الذين أتقنوا فن الرياء قائلا: **"**ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافا ودعارة **...** ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة. هكذا أنتم من خارج تظهرون للناس أبرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثما.**"**(مت٢٣:٢٥-٢٨).

الانتـقاد والإدانـة:

يصاب لسان المتكبر أيضا بهذا المرض إذ يحاول بالانتقاد والإدانة أن يهدم الآخرين ليبنى نفسه على أنقاضهم. وأن يزيح الجميع من المسرح ليظهر هو. لذلك فهو يشوه أعمال الآخرين وينقص من قيمتها، وينسب إليهم أخطاء ويظهر ضعفاتهم ويبالغ في نقائصهم حتى يظهر بذلك بره وقوته وكماله.

ألم تسمع يا أخي قول بولس الرسول **"**من أنت الذي تدين عبد غيرك. هو لمولاه يثبت أو يسقط.**"**(رو١٤:٤).

يحسن يا أخي أن تحول الانتقاد إلى صلاة من أجل من تنتقده وصلاة أيضا من أجل نفسك ليحميك الرب من خطية الإدانة.

(د) إصـابات نفسـية:

إن من لحقته ضربة الكبرياء أصيب بعلل نفسية كثيرة منها:-

الحسـد والغيـرة :

فالمتكبر يحسد كل من أخذ نعمة أو موهبة أفضل منه **...** وبالتالي تتحرك في قلبه الغيرة من نحوه.

ويضرب لنا الكتاب المقدس مثلاً واضحاً عن الحسد. إذ تملك الكبرياء قلب جماعة قورح فحسدوا موسى وهارون وقالوا لهما: **"**كفاكما أن كل الجماعة بأسرها مقدسة وفي وسطها الرب. فما بالكما ترتفعان علي جماعة الـرب.**"**(عدد١٦:٣).

ألا تعرف يا أخي ماذا كانت نهاية تلك الجماعة؟ يوضح الكتاب أن الأرض انشقت وابتلعتهم.(عدد١٦:٣١-٣٢).

فالحسد حقيقة موجودة ولكن ضرره لا يصيب المحسود بل يصيب الحاسد نفسه.

الحقد والبغضة:

هذه هي المرحلة التالية للحسد والغيرة، إذ انه عندما يتمكنا من قلب المتكبر يتحولا إلى حقد وبغضة.

ويوضح لنـا الكتاب المقدس هذه الحقيقـة في أماكن متعددة، فأخوة يوسف حسدوه ثم غاروا منه وتحول ذلك إلى حقد ثم بغضة.(تك٣٧:٤-٥).

وأيضا يذكر الكتاب عن عيسو إذ حسد أخيه يعقوب لأنه أخذ البركة من أبيه كما سبق أن اخذ البكورية، وتحول الحسد إلى غيرة والغيرة إلى حقد والحقد إلى بغضة.(تك٧٢:٤١).

واسمع يا أخي ما قاله القديس اكليمندس تلميذ بطرس الرسول عن الحسد: **[**كذا ترون أيها الأخوة كيف قاد الحسد والحقد إلى قتل الأخ لأنه مكتوب **"**وحدث إذ كانا في الحقل أن قايين قام علي هابيل وقتله.**"**(تك٤:٣-٨).

ومن أجل الحسد أيضا هرب أبينا يعقوب من وجه عيسو أخيه. وبالحسد اضطهد يوسف إلى الموت ثم أُخذ في عبودية. ونتيجة الحسد هرب موسى من وجه فرعون ملك مصر عندما سمع هذه الكلمات من أخيه العبراني: "من أقامك قاضيا علينا".ونتيجة الحسد أُفرزت مريم خارج المحلة، وهبط داثان وأبيرام أحياء إلى الهاوية عندما قاما بالثورة ضد خادم الله موسى. وبسبب الحسد أضُطهد داود لا من الأعداء فحسب بل أيضا من شاول ملك إسرائيل.]
(القديس اكليمندس).

(هـ) إصابات عصبية:

والكبرياء إذ يصيب الإنسان يربكه نفسيا وعصبيا وهاك مظاهر الإصابات العصبية التي تنتاب المتكبر:

الغضب وعدم الاحتمال :

إن السر الدفين وراء الغضب وعدم الاحتمال هو الكبرياء.
فالمتكبر معتز برأيه ويثور عندما يُعارض ...
والمتكبر معتز بكرامته ويثور متى جُرحت ...
والمتكبر مرائي ويثور إذا ما انكشفت حقيقته...

وربما يتستر المتكبر وراء منطوق هذه الآية ويتذرع بها "اغضبوا ولا تخطئوا" (أف٤:٢٦).

ولكن اعلم يا أخي أن هذه الآية تتكلم عن الغضب المقدس الذي لا يعرفه المتكبر. فهذا الغضب هو من أجل حق الله لا من أجل الكرامة. هو غضب مقدس له شروطه التي لا يفهمها إلا من قدم ذاته على مذبح التكريس وصلبها على صليب الجلجثة وانسكب فيه روح المحبة في علية صهيون.

أما المتكبر فلا يعرف سوى الغضب البشرى الذي قال الكتاب عنه "غضب الإنسان لا يصنع بر الله.(يع١:٢٠).

القـتـل :

ولعل هذا هو نهاية المطاف بالمتكبر. فإذ قد أصيب بتلك القذيفة الفتاكة، توالت الإصابات عليه حتى انطبق عليه تشخيص أشعياء النبي "كل الرأس مريض وكل القلب سقيم. من أسفل القدم إلى الرأس ليس فيه صحة بل جرح وإحباط وضربة طرية لم تعصر ولم تعصب ولم تلين بالزيت" (أش١:٥-٦).
فبداية الكبرياء إعجاب بالنفس ونهايته قتل للأنفس وكل ما بين النهايتين انفجارات متتابعة لتصل إلى تلك النهاية المحزنة.

فقايين كان معجبا بتقدمته وإذ رُفضت من قبل الرب بينما ذبيحة أخيه قد قبلت نراه يحسد أخاه ويحتد عليه وانتهى به الأمر إلى قتله.(تك٤: ٣-١١)
وعيسو يصل به الأمر إلى الشروع في قتل أخيه يعقوب.(تك٢٧: ٤١).
وأخوة يوسف يتآمرون على قتله.(تك٣٧: ١٨-٢٤).
وشاول الملك إذ يحسد داود ويغير منه يطارده لكي يقتله.(١صم١٨: ١٠)
وهامان يدبر مكائد ويرسم خططا لقتل مردخاى.(إس٣: ٦).
والكهنة وروساء الكهنة بدافع من الغيرة والحسد يثيرون اليهود ويحرضون الرومان على صلب السيد المسيح.(مت٢٧).

وأنت أيها الأخ الحبيب هل أنت معجب بنفسك، حاسد لأخيك تدبر المكائد وتحيك المؤامرات وترسم الخطط لقتله وإن لم يتم لك ذلك عمليا فهل أنت تتمنى موته من كل قلبك ليختفي من مسرح الحياة لتنفرد أنت بالمجد والكرامة؟.

سؤال يفرض نفسه:

ربما مع قراءة هذه الأمراض تسأل: وما هو العلاج؟

لك حق يا أخي فالعلاج هو أهم ما في الموضوع. فهيا بنا لنرى أسلحة محاربتنا.

ثالثا: أسلحة محاربتنا

لقد استعرضنا معا قوات إبليس المعاند والآن لنستعرض أسلحة محاربتنا المضادة حتى نتعرف عليها فنستخدمها في حروبنا الروحية لكي نغلب وننتصر.

واعلم يا أخي أن أسلحة محاربتنا ليست ضعيفة وإنما هي في غاية القوة إذ يقول معلمنا بولس الرسول "أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون" (٢كو١٠:٤).
واليك تلك الأسلحة عساك تتسلح بها :-

(١) سلاحنا البرى [سيف الروح]

فإذ يتعرض بولس الرسول للأسلحة الروحية نراه يقول : "وسيف الروح الذي هو كلمة الله."(اف٦:١٧).
فالسيد المسيح في حروبه على الجبل في البرية قد استخدم هذا السلاح الماضي الذي سدده إلى قلب إبليس ففر من أمامه هاربا. ففي التجارب الثلاث نرى السيد المسيح يرد على إبليس قائلا: "مكتوب ... "
وهكذا الأمر معك يا أخي عندما يحاربك إبليس بشهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة من مغريات عالمية وملذات جسدية ومحبة المال والذات امسك بسيف الروح الذي هو كلمة الله واطعن به إبليس فلا يستطيع أن يثبت أمامك.
وإذ اختبر معلمنا يعقوب الرسول قوة هذا السلاح نراه يوصى المؤمنين قائلا: "اقبلوا بوداعه الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم"(يع١:٢١).
وبولس الرسول يقول لتلميذه تيموثاوس "إنك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة أن تحكمك للخلاص."(٢تى٣:١٥).
فهل أنت متمسك بكلمة الله؟ هل تذكر يا أخي قول الرب: "لتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم عل قلبك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشى في الطريق وحين تنام وحين تقوم. واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك."(تث٦:٦-٨).

آه يا أخي لقد أصبحت قراءتك للكتاب المقدس مجرد واجب ثقيل تؤديه بمنتهى السرعة وبكل ضيق لهذا أنت لا تستفيد منها شيئا. ضع في قلبك أن تقرأ الكتاب المقدس لتتسلح به متخذا من آياته ذخيرة حية تطلقها على العدو متى هاجمك. فهي قادرة أن تخلصك (يع١:٢١).

ولكن اعلم يا أخي أن مجرد ترديد كلمة الله لا يقدر أن يخلصك وإنما مفعول الكلمة هو في أن تخضع فكرك وتستأسره للمسيح. لهذا فبولس الرسول عندما قال "أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون."(٢كو١٠:٤)، أكمل قائلا: "هادمين ظنونا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ومستاسرين كل فكر إلى طاعة المسيح" (٢كو١٠:٥).

فليست العبرة بترديد الآيات بينما الفكر مستعبد للشهوات وإنما يجب أن تستأسر الآيات الفكر للمسيح. ولهذا أيضا قال بولس الرسول "أما نحن فلنا فكر المسيح"(١كو٢:١٦).

(٢) سلاحنا البحري [غواصة الإيمان]

لعلك تذكر يا مبارك أسلحة الشيطان البحرية التي بها يريد أن يقطع رجاءنا، إذ يجرنا في دوامة الشكوك والخوف والقلق والحزن والضجر واليأس.

ولكن شكرا لله الذي لم يتركنا فريسة لمخاوفه، بل أعطانا سلاحا مضادا يستطيع أن يخرجنا من تلك اللجج بسلام ذلك السلاح هو "غواصة الإيمان" فبطرس الرسول يشير إلى ذلك السلاح قائلا: "قاوموه راسخين في الإيمان"(بط٥:٩).

وبطرس الرسول لم يكتب ذلك عبثا، بل كتبه عن اختبار شخصي، فهو لم ينسى دوامة الشك التي أُخذ فيها وكاد أن يغرق لولا صراخه قائلا يا رب نجني. فأسرع يسوع وأنقذه ممسكا بيده ثم وضح له سبب سقوطه في هذه الدوامة قائلا: "يا قليل الإيمان لماذا شككت؟"(مت١٤:٣٠-٣١).

وأركان الإيمان في حرب اليأس ترتكز حول:-

(أ) الثقة في صدق كلام الله ومواعيده:

فيسوع نفسه قال "السماء والأرض تزولان ولكن كلامي لا يزول"(مت٢٤:٣٥).

وقال أيضا "زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس."(لو١٦:٧١).

فهل تثق أن الله صادق في مواعيده؟ اسمع ماذا يقول نحميا النبي "وقطعت معه (مع إبراهيم) العهد ... وقد أنجزت وعدك لأنك صادق."(نح٩:٨). ومواعيد الله لنا عديدة بخصوص عنايته بنا ومحافظته علينا أضع منها أمامك ما يلي :-

* قول بطرس الرسول في معالجته لموضوع الإيمان، إذ قبل أن يقول "قاوموه راسخين في الإيمان"(١بط٥:٩). سبق فقال "ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتني بكم"(بط٥:٧).

* وفي نفس الإصحاح يعالج موضوع حفظ الله لنا فيقول: "وإله كل نعمة الذي دعانا إلى مجده الأبدي ... هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم."(١بط٥:١٠).

* وقد سبق وأوضح في نفس الرسالة ذات المعنى فقال: "أنتم الذين بقوة الله محروسون"(١بط١:٥).

* ثم ألا تعلم يا أخي أن موضوع حفظك قد كلف به المسيح أباه عندما قال له "أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك"(يو١٧:١١).

* ثم يقول له "حين كنت معهم في العالم كنت احفظهم في اسمك ... أما الآن فأنى آتى إليك ... لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير."(يو١٧:١٢-١٥).

وحتى لا تظن يا أخي أنك خارج عن دائرة المحفوظين بيد الله القوية أكمل السيد المسيح صلاته الشفاعية قائلا: لست أسأل من أجل هؤلاء فقط، (أي التلاميذ) بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم" (يو١٧:٢٠). فماذا تريد يا أخي بعد ذلك؟!!

* أو لم تسمع قط هذا الوعد "من يقبل إلى لا أخرجه خارجا"(يو٦:٣٧). تمسك إذن بمواعيد الله في ثقة وقاوم إبليس راسخا في الإيمان.

(ب) الثقة في معية الله:

فالله معك في كل الظروف، في الظلام كما في النور، في الضيق كما في الفرج، في الحزن كما في الفرح، في البحر كما في البر، لأن اسمه "عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا"(مت١:٣٢).

وإن كان الله معنا فمن علينا ؟! (رو٨:٣١).

واسمع المرنم إذ يقول "إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شرا لأنك معي"(مز٢٣:٤).

فقل إذن مع المرنم "جعلت الرب أمامي في كل حين لأنه عن يميني لكي لا أتزعزع"(مز ١٦:٨).

وأصغ إلى صوته المطمئن "لا تخف لأني معك"(تك٢٦:٢٤). فلماذا تخاف يا أخي وتضطرب والرب معك؟! أليس خوفك ناتج من عدم ثقتك في معية الرب لك؟! إذ تظن أنك تسير في الحياة بمفردك وتقابل الضيقات والتجارب بمفردك وقد نسيت وعده القائل "معه أنا في الضيق أنقذه وأمجده وأريه خلاصي"(مز١٩:١٥).

ليتك يا أخي تثق تماما في وجود الله معك وسكناه في داخلك لأنه مكتوب "أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم"(١كو٣:١٦).

وأمامك يا أخي العزيز أضع أنشودة الإيمان والسلام التي عزفها المرنم منشدا: [لأنه ينجيك من فخ الصياد، ومن الوبأ الخطر بخوافيه يظلك، وتحت أجنحته تحتمي لا تخشى من خوف الليل، ولا من سهم يطير في النهار، ولا من وبأ يسلك في الدجى. ولا من هلاك يفسد في الظهيرة يسقط عن جانبك ألف. وربوات عن يمينك. إليك لا

يقرب لا يلاقيك شر. ولا تدنوا ضربة من خيمتك عل الأسد والصل تطأ، الشبل والثعبان تدوس. لأنه تعلق بي أنجيه. أرفعه لأنه عرف اسمى. يدعوني فاستجيب له. معه أنا في الضيق أنقذه وأمجده من طول الأيام أشبعه. وأريه خلاصي.] (مز ٩١:٣-١٦).

(جـ) الثقة في قبول الرب لك رغم سقطاتك:

فبطرس الرسول يقول "لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة"(٢بط٣:٩).

وحزقيال النبي يقول "وأنت يا ابن آدم كلم بيت إسرائيل وقل: أنتم تتكلمون هكذا قائلين. إن معاصينا وخطايانا علينا وبها نحن فانون فكيف نحيا؟ قل لهم حي أنا يقول السيد الرب إني لا أسر بموت الشرير بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا"(حز٣٣:١٠-١١).

فحزقيال النبي هنا يوضح بجلاء قلب الله الرحيم الذي يتغاضى عن سقطاتنا ولا يسر بإهلاكنا بل برجوعنا إليه لنحيا.

ولهذا كتب يوحنا الحبيب قائلا: "يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا"(١يو٢:١-٢).

فكثيرون يا أخي يخطئون إذ يظنون أن الحياة مع الله هي حياة العصمة. كلا يا أخي فمهما بلغ المؤمن من درجات في القداسة هو معرض للسقوط وربما يسقط فعلا. فو إن كان القصد من حياتنا مع الله أن لا تخطئ ولكن طالما نحن في سجن هذا الجسد الترابي فنحن معرضون للسقطات بحكم ضعفنا البشرى ... فإن سقطنا لنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار إذ قدم دمه كفارة لخطايانا.

لهذا لا تيأس يا أخي إن أُخذت في سقطة ولكن اصرخ مع النبي قائلا: "لا تشمتي بي يا عدوتي إذا سقطت أقوم"(مى٧:٨).

واسمع يا أخي قول القديس **مار افرام السرياني**: [ليتني التصق بالله لأنه متعطف على البشر، واقبل إلى طريق الخلاص. وأتوكل على من خلقني فما أيأس من خلاصي لأنه جزيل التحنن فائق في صلاحه. إن كان العدو جرحني فأنت يارب تشفي جراحاتي برأفتك، وتنتشلني من يديه لئلا يجعلني مأكلاً للنار والدود.]

وإليك أيضاً قول **يوحنا ذهبي الفم**: [إن كان الشيطان لديه هذه المقدرة أن يطرحك أرضا من العلو الشامخ والفضيلة السامية إلى أبعد حدود الشر. فكم بالأكثر جدا يكون الله قادرا أن يرفعك إلى الثقة السابقة ولا يجعلك فقط كما كنت بل أسعد من ذي قبل. لا تيأس ولا تطرح الرجاء الحسن ولا تسقط فيما يسقط فيه الملحدون. فإنه ليست كثرة الخطايا هي التي تودي إلى اليأس بل عدم تقوى النفس. الشرير يستخدم كل الحيل ليزرع فينا فكر اليأس. فإن نجح في ذلك فلن يحتاج بعد إلى جهاد أو تعب في صراعه ضدنا، مادمنا منطرحين وساقطين وغير راغبين في المقاومة ... فمن يقدر أن يتخلص من هذه السلسلة، ويستعيد قوته، ولا يكف عن المقاومة ضد الشيطان حتى آخر نسمة، حتى ولو سقط مرات كثيرة بلا عدد، مثل هذا يقوم ويضرب عدوه.

أما من كان في عبودية أفكار اليأس ... فكيف يقدر أن يغلب وهو لا يقاوم بل يهرب أمام عدوه ؟! **N. &P. FRS, Series 2. Vol. 11 P**

وإليك هذه **القصة من بستان الرهبان** ليثبت إيمانك فتطرد شيطان اليأس من أمامك: قيل عن أخ كان ساكنا في دير أنه من شدة القتال كان يسقط في خطية الزنا مرارا كثيرة. وكان هذا الأخ يجاهد ويثابر في إيمان وصبر لكي يسترد ثوب طهارته ولا يكف عن الطلبة والدعاء قائلا: "يارب أنت ترى شدة حالي وحزني فانشلني يارب إن شئت أنا أم لم أشأ، لأني مثل الطين اشتاق وأحب الخطية. وأنت أيها الإله القوى امنعني عن النجاسة، لأنك إن كنت ترحم القدسيين فقط فليس هذا بعجيب، وإن كنت إنما تخلص الأطهار فقط فما الحاجة، لأن أولئك مستحقون. ولكن فيَ أنا الغير مستحق يا سيدي أرى عجب رحمتك لأني إليك أسلمت نفسي."

هذا ما كان يردده كل يوم سواء أخطأ أو لم يخطئ ... وإذ كان يصلى ذات يوم ضجر منه الشيطان! شيطان اليأس! وغُلب من حسن رجائه ظهر له وجها لوجه وهو واقف يصلى وقال له : أما تخزى أن تقف بين يدي الله

وتذكر اسمه بفمك النجس؟ فقال له هذا الأخ: ألست أنت تضرب مرزبة (عصا) وأنا أيضا أضرب مرزبة؟ أنت توقعني في الخطية، وأنا أطلب من الله الرحوم أن يتحنن على، سوف أصارعك هكذا حتى يدركني الموت ولن أقطع رجائي من الهي، ولن أكف عن الاستعداد لك. وسننظر من يغلب أنت أم رحمة الله.

فقال له الشيطان: من الآن لا أعود إلى قتالك لئلا يكون لك إكليل من الرجاء ... وانتصر الإيمان والرجاء وتبدد اليأس وتمتع هذا الأخ ببهجة الخلاص

فلا تيأس يا أخي مهما سقطت بل قم فتخلص، فما أعجب ما كتبه **يوحنا ذهبي الفم** قائلا: "السقوط في ذاته ليس بالأمر الخطير، بل يكمن الخطر في البقاء منطرحا بعد السقوط، وعدم القيام مرة أخرى"

(٣) سلاحنا الجوى: [حلة الإتضاع]

إن رجال الفضاء الذين يقذف بهم إلى العلو الشاهق في منطقة انعدام الوزن لابد لهم وأن يلبسوا حلة فضاء معينة تقيهم من أخطار ذلك الجو.

وهكذا في حياتنا الروحية عندما يقذفنا إبليس فكرياً إلى طبقات الكبرياء العليا علينا أن نلبس حلة الاتضاع هذه هي الإماتة وصلب الذات. فلقد سبق وارتداها بولس الرسول إذ قال "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في."(غل٢:٢٠).

ويتضح لنا من قول بولس الرسول أن الاتضاع ليس هو مجرد إماتة الذات وصلبها فحسب بل هو أسمى من ذلك. إذ أن إماتة الذات وصلبها ليس إلا وسيلة لنصل إلى الاتضاع الحقيقي وهو حياة المسيح فينا. فإماتة الذات بدون حياة المسيح فينا ليس باتضاع وإنما هو ضرب من الانتحار، وهيهات أن يتم بذلك الإتضاع، والحقيقة أنها محاولات فاشلة لا تؤدى إلا إلى العلل والأمراض النفسية وانحراف الشخصية.

وإليك يا مبارك مفهوم الاتضاع فهو :-

(أ) إلغاء إرادة الذات لتحل إرادة الآب فينا:

فيسوع الذي قال لنا " تعلموا منى لأني وديع ومتواضع القلب."(مت١١: ٢٩). نراه في مشهد الاتضاع متجليا في بستان جثماني قبيل صلبه قائلا: "ليكن لا ما أريده أنا بل ما تريد أنت."(مز١٤:٣٦).

فيسوع المتضع يلغي إرادة ذاته ويحل إرادة الآب عوضا عنها. هكذا أيها الحبيب إذ نتعلم من يسوع الاتضاع يجب أن يكون لنا فكر المسيح. " أما نحن فلنا فكر المسيح."(١كو٢:١٦) فنلغي إرادتنا تماما ولنتصرف بإرادة الآب، كما كان يفعل يسوع فقد قال "لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئة الذي أرسلني. وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني، إن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئا بل أقيمه في اليوم الأخير.(يو٦:٣٨-٣٩).

وقد علق على هذا القول القديس أغسطينوس قائلا: "هذا هو سر الاتضاع، فبينما الكبرياء هو عمل مشيئة الذات، فالاتضاع هو عمل مشيئة الآب."

N. P. FRS 1 St Series vol. 7 p. 100.

(ب) إخفاء الذات ليظهر المسيح فينا:

فالاتضاع الحقيقي يا أخي هو إخفاء الذات وإظهار شخص يسوع في حياتنا.

المعمدان كمثال:

تطلع إلى يوحنا المعمدان الذي كان محترما من الجميع، عندما سئل. من أنت؟ يقول الكتاب انه اعترف ولم ينكر وأقر: "إني لست أنا المسيح" ثم أردف قائلا: "في وسطكم قائم هو الذي يأتي بعدى الذي صار قدامى الذي

لست بمستحق أن أحل سيور حذائه " ثم أشار إلى المسيح قائلا: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم" (يو ٢١:٢٩).

لم يكتف يوحنا المعمدان بأن يخفى ذاتـه وينكرها، وإنما جوهر الاتضاع في يوحنا المعمدان هو إظهار شخص يسوع رافع خطية العالم. لهذا نراه في عبارات الاتضاع يعقد المقارنة بين حقارة ذاته وبين رفعة شخص المسيح فيقول: "في وسطكم قائم هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدامي" (يو ١:٢٧) فيوحنا يضع نفسه في المؤخرة ويقدم على ذاته شخص المسيح.

* ثم يعود فيقول "الذي لست بمستحق أن أحل سيور حذائه"(يو ١:٢٧) مظهرا كرامة المسيح ومركزه السامي حتى أنه غير مستحق أن يحل سيور حذائه.

* ثم فرَق بين معموديته التمهيدية ومعمودية المسيح الأصلية عندما قال "أنا أعمدكم بماء التوبة. ولكن الذي يأتي بعدى هو أقوى منى ... هو سيعمدكم بالروح القدس ونار" (مت٣:١١).

وما أعجب قوله يا أخي "هو أقوى منى" مظهرا بهذا ضعفه ومشيرا إلى قوة المسيح، وإلى قوة معموديته.

* وعندما أتى إليه تلاميذه قائلين "يا معلم هوذا الذي كان معك في عبر الأردن الذي أنت شهدت له هو يعمد والجميع يأتون إليه" أجاب يوحنا وقال "لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئا إن لم يكن قد أعطى من السماء. أنتم أنفسكم تشهدون لي أنى قلت لست أنا المسيح بل إني مرسل أمامه.

من له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحا من أجل صوت العريس. إذا فرحى هذا قد كمل. **ينبغي أن ذلك يزيد وأنى أنا انقص"** (يو٣:٢٦-٣٠).

ولعلك تلاحظ يا أخي كيف أوضح أنه مجرد صديق العريس وأشار إلى المسيح على أنه هو العريس ثم ختم حديثه بشعار الاتضاع الذهبي "ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا انقص".

بولس الرسول كمثل آخر:

وتأمل أيضا يا أخي في قول بولس الرسول موضحا مفهوم الاتضاع "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في"(غل٢:٢٠). فبين بهذا أن صلب الذات هو عنصر الاتضاع السلبي وحياة المسيح في الإنسان هو عنصر الاتضاع الإيجابي.

لهذا يقول أيضا **"**حاملين في الجسد في كل حين إماتة الرب يسوع لكي **تظهر حياة يسوع أيضا في جسدنا.** لأننا نحن الأحياء نسلم دائما للموت من أجل يسوع لكي **تظهر حياة يسوع أيضا في جسدنا المائت"**(٢كو٤:١٠-١١).

هذه هي صورة دقيقة لمفهوم الاتضاع فإماتة الجسد وسيلة لكي تظهر حياة يسوع في هذا الجسد المائت.

وتتضح هذه السمة في خدمة بولس الرسول أيضا إذ يقول: "فإننا لسنا نكرز بأنفسنا بل بالمسيح يسوع رباً ولكن بأنفسنا عبيدا."(٢كو٤:٥) فشعار الخدمة هو إظهار شخص يسوع المسيح لتتعلق به النفوس وتحبه وتعبده أما الخادم فيتوارى خلف الصليب ويختفي في ظلاله ثم يقف من بعيد متهللا فرحا كصديق العريس الذي تسلم العروس.

فهل يا أخي المبارك تخفى ذاتك لكي تظهر حياة يسوع فيك وفي خدمتك؟

ومن هذا نستطيع أن نخرج بنظرية واضحة للاتضاع وهى: أن الاتضاع ليس مجرد إخفاء الذات عن الناس فهذا هو العنصر السلبي في الاتضاع، وإنما هو إظهار شخص المسيح أمام الجميع وهذا هو العنصر الإيجابي في الاتضاع.

بطرس الرسول كمثال ثالث:

تأمل موقف بطرس ويوحنا بعد معجزة شفاء الرجل الأعرج من بطن أمه عند باب الهيكل الذي يقال له الجميل.(أع٣:١٢-١٦) ماذا قال بطرس عندما رأى التفاف الشعب حولهما في اندهاش وتعجب؟! قال ما بالكم تتعجبون من هذا؟ ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي؟

إن إله إبراهيم واسحق ويعقوب إله آبائنا **مجد فتاه يسوع ...** وبالإيمان باسمه شدد اسمه هذا الذي تنظرونه. فبطرس الرسول يحول أنظار الشعب إلى شخص يسوع المسيح، وهذا هو الاتضاع.

فليس معنى الاتضاع أن يهرب بطرس من إجراء المعجزة متمتما بعض عبارات عدم الاستحقاق! لا يعتبر هذا أتضاع وإنما هو تخاذل وإنكار للمسيح وعدم تكامل المحبة للآخرين.

خلاصــة:

فليس الاتضاع يا أخي خفض الرأس وتنكيسها في تذلل.. فربما تنجح في هذا ولكن قلبك من الداخل لا زال منتصبا متشامخا. وليس الاتضاع عينين ذابلتين ووجها مكمدا مقطبا... بينما عينا قلبك مفتوحتان بانتفاخ وشهوة... وليس الاتضاع تمتمات شفاه ضامرة في صوت خافت بينما بالقلب من الداخل صيحات العجب والسبح الباطل.

+ الاتضاع يا مبارك هو عملية ختان للقلب بالروح، واقتناع داخلي بأنني في ذاتي لا شئ بل أحقر من تراب الأرض، لأن التراب لم يخطئ إلى الله أما أنا فقد عوجت المستقيم أمامه.

+ الاتضاع هو تمجيد نعمة الله التي تنازلت لتسكن في آنية خزفية مدنسة، كما يقول معلمنا بولس الرسول "أنا الذي لست أهلا أن أدعى رسولا لأني اضطهدت كنيسة الله، ولكن بنعمة الله أنا ما أنا ونعمتة المعطاة لي لم تكن باطلة بل أنا تعبت اكثر من جميعهم ولكن لا أنا بل نعمة الله التي معي" (١كو١٥:٩-١١).

فبولس الرسول يكشف عن اقتناعه القلبي أنه ليس أهلا ليدعى رسولا، ويؤيد اقتناعه هذا بالدليل إذ يقول: "لأني اضطهدت كنيسة الله" فلم يكن كلامه إدعاء أو تظاهرا أو تصنعا، بل إتضاعا حقيقيا نتج عن اقتناع قلبي. فهو وإن كان قد أظهر الجانب السلبي في الاتضاع يكمل حديثه بإظهار الجانب الإيجابي فيه فيشير إلى عمل نعمة المسيح فيه قائلا "أنا ما أنا ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة" (١كو١٥: ١٠) ثم يردف قائلا "أنا تعبت اكثر من جميعهم" وحتى لا يلتبس الأمر على أحد فيظن أن بولس أبتدأ يفتخر في كبرياء، يكمل حديثه قائلا "لا أنا بل نعمة الله المعطاة لي"

من هذا يا أخي يتضح أن للاتضاع شقين:

الشق الأول سلبي : موت وإخفاء.
الشق الثاني إيجابي : حياة وإظهار.

فهو موت للذات وإخفائها، كما أنه حياة المسيح وإظهاره في حياتنا. ختاما نضع أمامك هاتين المعادلتين:-

منطق المتكبر هو: أنا لا المسيح
منطق المتضع هو: لا أنا بل المسيح

(جـ) تجريد الذات وإرجاع الفضل لعمل الروح فينا:

فمعلمنا بولس الرسول كان أولى الناس بأن يفتخر بعمله وخدمته وثماره المتكاثرة في بلاد أسيا وأوربا، ولكننا نراه يجرد نفسه من كل هذه الإعمال ويقول "من يفتخر فليفتخر بالرب"(١كو١:٣١).

لماذا لا تفتخر أيها الرسول بأعمالك هذه العظيمة؟ يقول لأنه "ليس أننا كفاة من أنفسنا أن نفتكر شيئا كأنه من أنفسنا بل كفايتنا من الله الذي جعلنا كفاة لأن نكون خدام عهد جديد"(٢كو٣:٥-٦).

ثم يعود فيقول في أوفر إيضاح "لنا هذا الكنز في أوان خزفية ليكون فضل القوة لله لا منا"(٢كو٤:٧).

ما أجمل هذا التجريد للنفس من أعمالها، إذ ينظر إلى ذاته كآنية طينية ترابية لا فضل لها وإنما الفضل يرجع إلى قوة الله العاملة فيه. فالاتضاع يا أخي هو تجريد الذات من الأعمال التي تقوم بها. فما أنت في الواقع إلا آلة في يد الروح القدس لتنفيذ مقاصده. فكل ما صار للنفس وكل ما تعمله النفس هو نتيجة عمل الروح القدس فيها وبها.
وإليك ما يجب أن تتجرد منه النفس لتعيد الفضل لعمل الروح القدس:-

القداسة والفضيلة:
فإن كنت تمارس حياة القداسة وتسير في طريق الفضيلة فلا تظن أن هذه القداسة وهذه الفضيلة قد حصلت عليها بمجهوداتك البشرية. ولكن اعلم أن هذه كلها هى نتيجة عمل الروح القدس فيك بالنعمة التي قال عنها الكتاب "لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم هو عطية الله ليس من أعمال كيلا يفتخر أحد" (أف٢:٨-٩).

وعاد فقال "لا بأعمال في بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس" (تى٣:٥).

ويوضح أيضا الرسول أن القداسة التي بدأتها ليست من عملك وإنما هي من عمل الله نفسه فيك فيقول "اله السلام نفسه يقدسكم بالتمام" (تس٥:٢٣).

وحزقيال النبي يظهر لنا أيضا أن حياة الطهارة التي تعيشها هي من عمل الله أيضا فيك فيقول "أخلصهم من كل مساكنهم التي فيها أخطأوا وأطهرهم فيكونون لي شعبا وأنا أكون لهم إلها." (حز٣٧:٢٣).
ولهذا يقول **القديس باسيليوس** في قداسه {وصيرنا أطهارا بروحك القدوس.

وقال القديس **مار اسحق السرياني**:
[اعلم أن قيامك في العفة والفضيلة ليس هو من حرصك ولا من فضيلتك بل أن النعمة حاملة إياك على راحة يدها لئلا تتحرك فتزل]
فعندما يأتيك فكر كبرياء بالقداسة والفضيلة، قل كيف أفتخر بهذا كأنني أنا الذي فعلته، أعلمي يا نفسي أن هذا هو من عمل نعمة الله المتفاضلة. أما أنت يا نفسي فلا فضل لك في ذلك.

واحذري يا نفسي أن تظني أنك شيء في ذاتك لئلا تتخلى عنك النعمة فتعرفي مقدار ذاتك.
فقد قال القديس **مار اسحق السرياني**:
[لا تعتمد على قوتك لئلا تترك لضعف طبيعتك فتعرف ضعفك من سقطتك. واعلم أن كل أمر يفتخر به الإنسان يسمح الله تعالى بتغييره ليتواضع].

ويقول يوحنا ذهبي الفم:
[لننظر إلى أنفسنا آخر الكل، ولو كنا قد بلغنا قمة الفضيلة عينها. فبينما الكبرياء يُسقط غير المحترسين من السماء، فالاتضاع يرفع الحذرين من هاوية الآثام ... فإن شيدت بناء شامخاً كالصدقات والصلوات والأصوام وجميع الفضائل، فما لم يكن الاتضاع أساس هذا البناء فعبثا كان تشييده وعاجلا يكون سقوطه كالبيت المبني على الرمل].

N. & P. Frs. 1 St Ser. Vol. 9 P. 148.

ومن عوامل هدم فكر الكبرياء هو أن تذكر ماضيك قبلما عملت فيك النعمة لتعرف من أنت. ستجد نفسك على حقيقتها دنسه وحقيرة، وعندئذ تتضع نفسك.

يحكي أن أحد الملوك العظماء كان يحتفظ في حجرة صغيرة إلى جوار أريكة عرشه ببعض آلات صيد السمك وهى شبكة وسلة وجلباب قذر. وقد اعتاد هذا الملك أنه في صباح كل يوم يلقى نظرة على هذه الآلات ويشتم رائحتها قبل أن يصل إلى كرسي عرشه.
وعندما سُئل عن سبب ذلك قال: إنني أواظب على هذا العمل يوميا حتى لا تنسيني أبهة الملك حالتي الأولى فأتكبر.

فهكذا يا أخي ليتك كل صباح تتذكر حالتك وتذكر أنك كنت إنسانا خاطئا منذ ولادتك من بطن أمك، وقد قضيت سنينك وأيامك في الشرور والآثام.

فبولس الرسول ما نسي قط بعد أن اجتاز السماء الثالثة - أقول ما نسي قط حياته الأولى، فكان دائماً يردد تلك المقولة: " أنا الذي لست أهلاً لأن أدعى رسولاً لأني اضطهدت كنيسة الله." (١كو١٥:٩).

ويعود فيقول "أنا الذي كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفتريا. ولكنني رحمت لأني فعلت في جهل في عدم إيمان. وتفاضلت نعمة ربنا جداً مع الإيمان والمحبة التي في المسيح يسوع ... (الذي) جاء إلي العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا."(١تى١:١٣-١٥). هل رأيت إذن سر أتضاع بولس الرسول. إنه لا زال يذكر ماضيه المشين حتى لا يفتخر فيسقط، ثم يوضح في أجلى بيان تفاضل نعمة المسيح حتى خلص الخطاة الذين هو أولهم.

العلم والمعرفة:
عندما يحاول إبليس أن يسقطك في فخ الكبرياء والتشامخ بالعلم والمعرفة مستغلاً فهمك للكتب واستنارتك الروحية فإن لم تفرز حيلته الخادعة وتميز مقاصده الخبيثة سقطت في قبضته المهلكة.

أخي: إن ضربة الكبرياء بالعلم والمعرفة قد أطاحت بالكثيرين أمثال آريوس المهرطق ومقدونيوس المبتدع وغيرهما ...

أما أنت فلكي تنجو من هذا السهم القاتل لابد أن تعرف:- أن ما تعرفه وما قد وصلت إليه من فهم لا يرجع الفضل فيه إلي ذكائك الشخصي وإنما إلي كشف الروح لك. فكم من جهال حكّمهم الروح، وها صيادو السمك يفتنون المسكونة فقد "اختار الله جهال العالم ليخزى بهم الحكماء."(١كو١:٢٧) وتأمل قول ربنا يسوع "أتكلم بهذا كما علمني أبي"(يو٨:٢٨) فيسوع نفسه الذي قيل فيه "المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم"(كو٢:٣).
إذ قد ارتدى حلة الاتضاع ينسب كل هذا العلم إلي الآب يقوله:
"أتكلم بهذا كما علمني أبي" فما أعجب اتضاعك يا إلهي !! ثم تأمل أيضاً قول المرنم " أنا بليد ولا أعرف. صرت كبهيم عندك"(مز٧٣:٢٢) هذا ما قاله المرنم الممتلئ بروح الحكمة والفهم. فماذا تقول أنت؟ هل صرت أحكم من هذا المرنم؟ وهب أنك تعرف الكثير. أفلا تعلم أن هذه المعرفة وهذا العلم هو من عمل الروح وكشفه. وإليك الدليل:-

لأن الروح القدس **يعلمكم**.(لو١٢:١٢)
وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو **يعلمكم** كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم.(يو١٤:٢٦)
أما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلي أن يعلمكم
أحد بل كما **تعلمكم** هذه المسحة عينها عن كل شئ وهي حق وليست كذبا. (١يو٢:٢٧)
وإليك أيضاً قول الكتاب عن دانيال والثلاث فتيه بخصوص حكمتهم:-
أما هؤلاء الفتيان الأربعة **فأعطاهم الله** معرفة وعقلا في كل كتابة وحكمة.
(دا١:١٧)
وهو ذا يوحنا الحبيب يظهر أن هذه البصيرة قد كشفها لنا ابن الله نفسه بقوله:-

نعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق (١يو٥:٢٠)

أفبعد كل هذا تظن يا أخي أنك فهيم وحكيم من ذاتك؟ اذكر قول بولس الرسول "لا يخدعن أحد نفسه. إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر فليصر جاهلاً لكي يصير حكيماً. لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله"(١كو٣:١٨-١٩).
ويعقوب الرسول يحذرنا قائلاً "لا تكونوا معلمين كثيرين يا أخوتي عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم لأننا في أشياء كثيرة نعثر جميعنا"(يع٣:١).

أفتظن يا مبارك أنك تعرف كل المعرفة؟ ثق يا أخي أن ما تعرفه الآن ما هو إلا حياة ضحلة علي شاطئ نهر السباحة الذي لا يعبر.(خر٤٧:٥).

وهذا ما قاله بولس الرسول عن نفسه إذ اكتشف هذه الحقيقة "الآن أعرف بعض المعرفة"(١كو١٣:١٢).

من الذي يقول هذا الكلام؟ بولس الرسول الذي اختطف إلي السماء الثالثة ورأى ما لم تره عين، وعرف ما لا يصوغ للفم أن ينطق به!!
لهذا فهو يقرر هذه الحقيقة ويضع هذه القاعدة الخالدة:-
"إن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف."(١كو٨:٢).

فليعطك الرب نعمة اتضاع الفكر لتعرف أنك لا تعرف شيئاً من أعماق حكمة الله، وأن ما عرفته إنما هو كشف بسيط من محيط علم الله اللانهائي قد قصد الروح القدس أن يطلعك عليه فلا تفتخر بل قف شاكراً الله الذي وهبك هذه النعم.

المواهب والإعلانات:
هذا ميدان آخر يشتد فيه القتال وتستعر فيه نيران الحرب.
فيا صاحب المواهب اعلم أن ما عندك هو مجرد عطية من الله إذ يقول بولس الرسول في صدد الحديث عن المواهب "لكل واحد **يعطى** إظهار الروح للمنفعة. فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة. ولآخر كلام علم ..ولآخر إيمان .. ولآخر مواهب شفاء .. ولآخر عمل قوات ولآخر نبوة ولآخر تمييز أرواح. ولآخر أنواع ألسنة. ولآخر ترجمة ألسنة. ولكن **هذه كلها يعملها الروح القدس** بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء."(١كو١٢:٧-١١).

فعلام يفتخر من وهب إحدى هذه المواهب؟ والموهبة لا تعتمد على جدارته بل على مشيئة الروح في استحقاقات المسيح.
أما من يفتخر بالموهبة يحذره **القديس مار اسحق** قائلا: {اعلم أن كل أمر يفتخر به الإنسان يسمح الله بتغييره ليتواضع}.

هذا بخصوص المواهب وهكذا الأمر نفسه بخصوص **الإعلانات**. فلربما كشف لك الرب لترى بعين الإيمان ما تعجز عن رؤيته بالعيان. فهذا العمل هو نعمة من الله الذي ارتضى أن يكشف لك عن جانب من أسراره.

أفيقودك هذا إلى الافتخار؟ والأمر لم يكن يعتمد على برك أو صلاحك أو مجهوداتك وإنما على عطية الله المجانية.

لهذا فأحيانا يسمح الله بشوكة في الجسد لتصنع توازنا مع فرط الإعلانات خشية على حياة الإنسان، فيقول بولس الرسول رجل الإعلانات: "لئلا ارتفع من فرط الإعلانات أعطيت شوكة في الجسد ملاك الشيطان ليلطمني لئلا ارتفع."(٢كو١٢:٧).

(د) الاتضاع هو انحلال من الكل للارتباط بالواحد:
سبق أن وضحنا أن الاتضاع هو:
(أ) إلغاء إرادة الذات لتحل إرادة الآب فينا.
(ب) إختفاء الذات ليظهر المسيح فينا.
(ج) تجريد الذات وإرجاع الفضل لعمل الروح فينا.
والآن نناقش هذا المفهوم وهو أن الاتضاع هو الانحلال من الكل للارتباط بالواحد.
انحلال من الذات (فأحيا لا أنا).(غل٢:٢٠).
وانحلال من الناس "مجدا من العالم لست اقبل" (يو٥: ٤١).
وقال بولس الرسول أيضا "لو كنت بعد أرضي الناس لم اكن عبداً للمسيح" (غل١:١٠).

وانحلال من المال، ومن المراكز العالمية، ومن الرئاسات وحب المتكآت، انحلال من مجد العالم ليتحد الإنسان مع المسيح في سرية مقدسة، وفطامة النفس من أباطيل العالم لتشبع بدسم الرب وعشرته الطيبة.
"كالتفاح بين شجر الوعر حبيبي بين البنين تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقي."(نش٢:٣).

من هذا قد رأيت يا أخي القارئ ميدان الجهاد الروحي وتعرفت على أعدائك الروحيين، وضرورة وقوفك في ميدان الحرب "فجاهد جهاد الإيمان الحسن وتمسك بالحياة الأبدية التي إليها دعيت."(١تى٦:١٢).

وليتك تحمل جميع سلاح الله الكامل لكي تقدر أن تثبت أمام حيل إبليس.
وإن أصابك سهم الأعداء فلا تيأس لأن الرب يضمد جراحاتك ويقف معك في المعركة "إن كان الرب معنا فمن علينا"(رو٨: ٣١).

ولابد ننتصر "لأنه يعظم انتصارنا بالذي احبنا"(رو٨:٣٧).

الباب الثالث

التدريبات الروحية

أولاً:- ضرورة التدريبات
ثانياً:- مفهوم التدريبات
ثالثاً:- ممارسة التدريبات
رابعاً:- مجال التدريبات

لا أحد يستطيع أن ينكر أهمية التدريبات للحياة الروحية، ولكن غاية ما هناك أن كثيرين لا يفهمون معنى التدريبات ولا يعرفون كيفية ممارستها، لهذا أضع أمامك يا أخي الأمر واضحا مؤيدا بالحق الإلهي:-

أولاً:- ضرورة التدريبات

تتضح لنا ضرورة التدريبات لحياتنا الروحية مما يأتي:-

(١) من الكتاب المقدس:

* **دربني** في حقك وعلمني لأنك أنت إله خلاصي.(مز٢٥:٥).
* **يدرب** الودعاء في الحق.(مز٢٥:٩).
* **دربني** في سبيل وصاياك.(مز١١٩:٣٥).
* أنا أيضا **أدرب** نفسي ليكون لي دائما ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس.(أع٢٤:١٦).
* الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس **مدربة** على التمييز بين الخير والشر.(عب٥:١٤).
* يعطي الذين **يتدربون** به ثمر بر للسلام.(عب١٢:١١).

فالمرنم يطلب من الرب أن يدربه في الحق وفي سبيل وصاياه، وبولس الرسول يقرر هنا أنه كان يدرب نفسه حتى لا يتعثر بسببه أحد. ويوضح أهمية هذه التدريبات بأنها تعطى للإنسان تمييزا بين الخير والشر، ويوضح ثمارها أي السلام.

(٢) من أقوال الآباء القديسين:

يوجد الكثير من أقوال الآباء التي توضح ضرورة وأهمية التدريبات للحياة الروحية ولكنني اقتصر هنا على ما يأتي:-

قال القديس الطوباوى **يوحنا ذهبي الفم**: { إن كانت حواسنا مدربة نستطيع أن نميز بين الخير والشر. ولكن كيف ندرب حواسنا؟ يمكن أن ندربها بالاستماع المستمر لكلمة الله والتمرن على تطبيقها في حياتنا. رأيت إذن ضرورة تدريب ذواتنا بالروحيات.}

N. & P. Frs. 1st Ser. Vol. 14 P 407.

بهذا يوضح القديس يوحنا ضرورة تدريب الذات وكيفية ممارسة التدريب أيضا. **والقديس مقاريوس الكبير** يظهر هذا الجانب أيضا بقوله: {الإنسان الذي يرغب أن يأتي إلى الرب ويوجد مستحقا للحياة الأبدية عليه أن يداوم باستمرار في الصلاة. ويغصب ذاته على الاتضاع، واضعا نفسه أنه أقل وأحقر الناس جميعا، وكل ما يغصب نفسه لأجله ويعمله وهو متألم بقلب نافر غير راضى، سوف يأتي عليه يوم يعمله برضي وقبول.

وبذلك يدرب نفسه على حياة الصلاح والاهتمام بالرب. وحينما يرى الرب نية الإنسان واجتهاده **...** يتحنن عليه ويخلصه من أعدائه ومن سلطان الخطية ويملأه بالروح القدس. وحينئذ يتمم وصايا الرب دون تغصب أو اجتهاد، لأن الرب الساكن فيه هو يكون العامل فيه وبذلك يثمر ثمار الروح بطهارة.} (حياة الصلاة الأرثوذكسية ص ٣٧٢،٣٧٣).

فلعلك ترى من قول القديس مقاريوس الكبير هذا إبرازه لأهمية التدريب على حياة الصلاح وذلك بالاهتمام بالرب الذي يرى اجتهادك ونيتك يتحنن عليك ويخلصك.

(٣) شهادة مشاهير البروتستانت:

ولعلك لا تندهش يا أخي إذا رأيت رجالات البروتستانت يشهدون لضرورة تدريب النفس في الطريق الروحاني وسأكتفي هنا بأقوال بعض هذه الشخصيات:-

* **توماس كوك:**

قال في كتابه (القداسة في العهد الجديد):

{ الوحي يفرق دائما بين نقاوة القلب وبين نضوج وكمال الفضائل المسيحية. فالأول هو عمل الروح القدس. والثاني عملية طبيعية تحتاج إلى التمرين والتدريب. لأن النقاوة تخص النوع. والكمال يخص المقدار أو الكمية.} (القداسة في العهد الجديد ص ٣٩ "نشر مكتبة النيل المسيحية").

*** متى هنرى:**

قال: { كما أن للإنسان حواس طبيعية هكذا توجد أيضا حواس روحية، فهناك حاسة بصر روحية وحاسة تذوق روحية، فللروح حواس كما للجسد. لكنها تفسد وتفقد بالخطية وتعاد لها حساسيتها بالنعمة. هذه الحواس تنمى بالممارسة والتدريب.}

Vol. 6 P. 911 Mathew Henry Commentary

*** القس غبريال رزق الله الإنجيلي:**

قال في صدر تفسيره (عب٥:١٤) "الذين بسبب التمرد قد صارت لهم الحواس مدربة.. .. .." قال ما يلي: {**التمرن**: الكلمة الأصلية تدل على حالة جسدية أو عقلية ناشئة عن الممارسة والتعود. فهي عادة **...** تعطى في العمل سهولة **...** وهى مواظبة على الكلمة والصلاة والطاعة وممارسة لكل وسائط النعمة بكل أمانة واجتهاد **...** وكلمة **مدربة"** في الأصل "جيمنازو" من التمرين الجمنازى وهو الرياضة البدنية. وهكذا قالت (الترجمة) اليسوعية "الذين حواسهم قد تروضت. وهذه هي نصيحة بولس لابنه تيموثاوس" روض نفسك للتقوى لأن الرياضة الجسدية نافعة لقليل ولكن التقوى نافعة لكل شئ.} (تفسير الرسالة إلى العبرانيين.الجزء الثاني ص٢٣،٢٤).

فمن هذه الشهادات مجتمعة قد اتضح لك يا أخي أهمية التداريب الروحية في حياة المؤمن. ولهذا يعوزنا أن نتفهم معنى التدريبات حتى لا تمارس بطريقة خاطئة فتصبح بلا فائدة.

ثانيـاً:- مفهوم التدريبات

لكي نفهم المقصود من التدريبات سنعرض أولا للمفاهيم الخاطئة ثم نتكلم عن المفاهيم السليمة حتى يتضح لك القصد الإلهي منها:-

(١) المفاهيم الخاطئة:

+ ليست التدريبات محاولات بشرية لنزع الرذائل:

فهيهات هيهات للإنسان أن ينتزع من نفسه رذيلة واحدة ! فلو كان من الممكن للإنسان أن يخلص نفسه من رذائل بهذه الطريقة ما كان هناك حاجة لتجسد ابن الله الذي دعي "يسوع" ومعناه "مخلص" لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"(مت١:٢١).

ألم يقل هو نفسه "بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا."(يو١٥: ٥). فكيف تتوهم يا أخي أن التدريبات في حد ذاتها تستطيع أن تخلصك بدون قوة يسوع ؟!

+ وليست هي محاولات بشرية لغرس الفضائل:

فمهما حاول الإنسان أن يكتسب فضيلة واحدة بمجهوده الشخصي دون الاعتماد على شخص الرب يسوع باءت كل محاولاته بالفشل.

فما الفضائل التي يتحلى بها المؤمن سوى أنها ثمر الروح فالمحبة وطول الأناة والوداعة والتعفف ... الخ. ما هذه كلها إلا ثمار الروح كما وضح بولس الرسول: " أما ثمر الروح محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف"(غل٥:٢٢).

فكيف يتطرق إلى ذهنك يا أخي أنك تستطيع أن تتحلى بالفضائل عن غير طريق الروح القدس ؟!

من هذا يا أخي يتضح لك خطأ هذه المفاهيم الناقصة. ثم نوضح لك بإرشاد الروح:

(٢) المفاهيم السليمة للتدريبات هي:

+ السلوك العملي للحياة بالروح:

فالتدريب هو عملية ترجمة تعاليم المسيح إلى حياة تظهر في سلوكنا، فإذ قد سلم المؤمن قلبه للمسيح يلزمه شئ آخر وهو اقتفاء خطواته.

لهذا يقول الرب "يا ابني اعطني قلبك ولتلاحظ عيناك طرقي" (أم٢٣:٢٦).

فتسليم القلب للمسيح هو عملية إيمانية لابد لها من سلوك عملي هو تثبيت النظر في شخص المسيح حتى كما سلك ذاك نسلك نحن أيضا في جدة الحياة. (رو٦: ٤)

وإذ تثبت الأنظار في شخص المسيح تسير الأقدام في نفس الدرب الذي عبره، وتقتفي آثاره. لهذا قال بطرس الرسول "تاركا لنا مثالا لكي تتبعوا خطواته" (١بط١: ٢١) ويقول داود النبي "تمسكت خطواتي بآثارك فما زلت قدماي" (مز١٧: ٥) وأيوب المجرب يقول "بخطواته استمسكت رجلي حفظت طريقه ولم أحد" (أي٢٣: ١١).

فإن خرج التدريب عن كونه اقتفاء آثار المسيح والاستمساك بخطواته صار عبئا وثقلاً على كاهل المؤمن وأصبح بلا قيمة أو ثمر. والتدريبات الروحية هي أيضا:

+ إخضاع مشيئة الجسد لقيادة الروح:

فالتدريبات تشبه اللجم التي توضع في أفواه الخيل كما قال يعقوب الرسول "هوذا الخيل نضع اللجم في أفواهها لكي تطاوعنا فندير جسمها كله" (يع٣: ٣) فجسد الخطية الساكن فينا كالفرس الجامح الذي إن لم توضع اللجم في فمه ما استطعنا أن نتحكم فيه. وإذ يوضع اللجام في فمه يسلم طرف اللجام ليد الروح القدس حتى يقودنا في موكب النصرة (٢كو٢: ١٤) وبهذا نستطيع أن نستأثر كل فكر لطاعة المسيح (٢كو٥: ١٠)

والتدريبات الروحية هي كذلك:

+ تنمية ثمار الروح:

فإذ يحل الروح القدس في المؤمن يغرس فيه بذار الفضائل المعبر عنها بثمار الروح والتي قال عنها معلمنا بولس الرسول "أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف" (غل٥: ٢٢)

فبذار هذه الفضائل قابلة للنمو فهي توجد في المؤمن بقدر معين، ثم تنمو فيه بالتمرين وممارسة التدريبات إلى قياس قامة ملء المسيح (أف٤: ١٣)

فليست التدريبات هي لغرس هذه الفضائل وإنما هي مجرد تنمية لها بإضرام الروح القدس الساكن فينا، فقد أوصى بولس الرسول تلميذه تيموثاوس قائلا "لهذا السبب أذكرك أن تضرم أيضا موهبة الله التي فيك ..." (٢تي١: ٦).

والآن إلى شرح كيفية ممارسة التدريبات.

ثـالـثاً:- ممارسة التدريبات

بعد أن عرفت يا أخي مفهوم التدريبات، بقي أن تعرف كيفية ممارستها حتى تكون لها ثمار مباركة:-

(١) التغصب:

فأنت تعلم يا أخي أن الجسد يشتهى ضد الروح.(غل٥:١٧) ولهذا يجب أن نغصب الجسد ليخضع لرغبة الروح. فمثلا قد تقف للصلاة فيجذبك الجسد إلى حب الراحة، فلا تستسلم لرغباته بل أغصبه على المثول أمام الرب حتى تنتعش الروح ... وثق أن هذه المحاولات التي تقوم بها لغصب الجسد إنما هي حرب مقدسة يذكرها لك الرب ويكافئك عنها، ففي هذا قال **القديس مقاريوس الكبير**:-

{حينما يرى الرب نية الإنسان واجتهاده، وكيف يغصب ذاته لذكره وعبادته، وكيف يرغم قلبه سواء رضى أو لم يرض ... وكيف هو يبذل كل ما في وسعه، يتحنن الرب عليه ويظهر له رحمته ويخلصه من أعدائه ومن سلطان الخطية ويملأه من الروح القدس.}

وإن كانت الحياة الروحية تحتاج في بدايتها إلى شئ من التغصب فإن الرب يتحنن على المؤمن ويعطيه الحياة الروحانية التي بلا تغصب، هذا هو ما وضحه أيضا **القديس مقاريوس الكبير** بقوله:-

{ كل ما يغصب (المؤمن) نفسه لأجله ويعمل وهو متألم بقلب نافر غير راض، سوف يأتي عليه يوم يعمله برضى وقبول.}

وقال أيضا:-

"يجب على الإنسان أن يغصب ذاته إلى كل ما هو صالح، ولو كان رغما عن ميول قلبه. مترقبا الرحمة من الله بإيمان غير مرتاب ... فعندما يرى الله جهاده وتغصبه، **يعطيه الصلاة الروحانية الحقيقية التي بلا تغصب".**

وقد كتب **القديس يوحنا** (من كرونستادت) في هذا الصدد قائلا:- "تعلم كيف تصلى واغصب ذاتك على الصلاة، في البداءة سيكون الأمر شاقاً. في بدايته يحتاج إلى أن يغصب الإنسان نفسه عليه".

وفي الواقع يا أخي إن الحياة مع الله تحتاج إلى تمرن وممارسة عادات الإنسان الجديد الذي لبسه "ولبستم الإنسان الجديد" (كو٣:١٠). حتى تصبح هذه العادات الجديدة طبيعة فيك تؤدى تلقائيا بلا تغصب. فلا تيأس يا أخي ولا تفشل إن كنت مبتدئا في الطريق بل كن راسخا في الإيمان مطالبا الرب بحياة العمق الانسيابية.
وفي ممارسة التدريبات ينبغي أن تكون لنا أيضاً:

(٢) المثابرة:

أي الاحتمال والاستمرار. فإن كنت لم تشعر بعد بحلاوة الطريق، فلا ترتد سريعا، بل تقدم إلى الأمام في مثابرة وصبر باحثا عمن تحبه نفسك، فلا بد أن تجده وتتمتع به.

وتأمل العروس في نشيد الإنشاد كيف صبرت واحتملت حتى وجدت عريسها من أحبته، فأصغ إلى اختباراتها في هذا الطريق كما تسجله بلسانها: " في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي. طلبته فما وجدته."(نش٣:١). فهل هذا أسقطها في اليأس؟! اسمعها تقول:

"أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي طلبته فما وجدته."(نش٣:٢).

لقد بحثت عنه في المدينة فلم تجده فهل أرجعها ذلك إلى حيث كانت تجر أذيال الخيبة والفشل؟! يحسن أن نسمعها تجيب على ذلك وهى مستطردة في الحديث فتقول:-

"وجدني الحرس الطائف في المدينة. فقلت أرأيتم من تحبه نفسي؟"(نش٣:٣). فهذا تصرف حكيم منها أن تسال الحرس الذي يقوم بحراسة المدينة فهم أدرى الناس بأولئك الذين يسيرون في الطرقات. ولكنها لم تجد جوابا لسؤالها! بل واعجب من هذا فإنها في جولة مماثلة للبحث عن حبيبها تمر بهم وبحرس الأسوار، "حفظة الأسوار" واسمع ما تقوله العروس عما فعلوا بها: "وجدني الحرس الطائف في المدينة، ضربوني وجرحوني. حفظة الأسوار رفعوا إزاري عنى (أي جردوها من الثياب)."(نش٥:٧).

عجباً! لقد كان من المفروض أن يقوم الحرس بحمايتها ولكنهم أهانوها واستهزءوا بها!! العل هذا كان كافيا لرجوعها بعين ذليلة ونفس كسيرة؟ كلا فهي لم تبالي بكل هذا وإنما تسير في إصرار وتتقدم في صبر جادة في البحث عمن سلب القلب بحبه.

وإذ يرى الرب مثابرتها وجهودها يظهر لها. واسمعها تحكى لنا هذا اللقاء بعد ما فعله معها حرس المدينة وحفظة الأسوار قائلة:- " فما جاوزتهم إلا قليلا حتى وجدت من تحبه نفسي. فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي."(نش٣:٤).

فهل لك يا مبارك مثل هذه الروح المثابرة الصابرة على مشقات الطريق؟ فلماذا يخامرك الوهن سريعا؟ ولماذا تتضارب في رأسك الشكوك؟ ولماذا تخور قواك هكذا سريعا؟ ولماذا تستسلم لظنون الخيبة والفشل؟
دع عنك يا أخي كل هذه المعطلات وتقدم في ثقة وفي مثابرة فالرب قريب ...

وفي ممارسة التدريب يجب أن نراعى أيضاً:

(٣) التدقيق:

فبولس الرسول يوصى أهل أفسس قائلا "انظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء."(أف ٥:١٥).

وبطرس الرسول يوصي النساء قائلا "ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف."(١بط٣:٢).
ولهذا نرى بولس الرسول يؤكد على تلميذه تيموثاوس قائلا "لاحظ نفسك"(١تى٤:١٦).

فممارسة التدريبات تحتاج إلى التدقيق في سلوكنا وسيرتنا. ويحتاج الأمر إلى فرض رقابة شديدة على تصرفات النفس طول اليوم، وما أحوجنا أن نحرس مداخل ومخارج مدينتنا حتى لا يتسرب إليها العدو فيهلكنا.
لهذا فيجب أن نحاسب أنفسنا على كل تصرف. هل هذا يليق بأولاد الله؟ وبالدعوة التي إليها دعينا؟
كما يجب مراعاة عنصر الالتصاق بالرب لممارسة التدريب:

(٤) الالتصاق بالرب:

لا يمكن أن ننجح في تدريب أنفسنا على ممارسة هذه الفضائل إن لم نداوم علي الالتصاق بالرب الذي يميت في داخلنا حركات جسد الخطية ... لهذا نقول في صلوات الأجبية (كتاب صلوات المزامير):
"أمت حواسنا الجسمانية أيها المسيح إلهنا وخلصنا"
وإذ نداوم على الالتصاق بالرب نشبع به، وإذ نشبع بالرب تدوس نفوسنا الخطية مهما كانت لذيذة، فسليمان الحكيم يقول: النفس الشبعانة تدوس العسل."(أم٢٧: ٧).
كما وأنه طالما نحن ملتصقين بالرب تفيض في دواخلنا ينابيع ماء حي تروى بذار الروح فتثمر لحساب مجد المسيح.
هذا فضلا عن أنه إذ نكون في اتصال بالرب نتحد بروح القوة الذي كتب عنه بولس الرسول قائلا:"كذلك الروح أيضا يعين ضعفاتنا."(رو٨:٢٦).

رابعاً:- مجال التدريبات

قد يرتبك الأخ المبتدئ من جهة الإلمام بالتدريبات التي ينبغي أن يمارسها، وكأنه يسبح في محيط لا يعرف قراره أو مداه. هذا الارتباك عينه يدعوه إلى الملل والسأم ويقوده إلى الضجر واليأس.

ولكن كما سبق ووضحنا أن التدريبات هي عملية ممارسة وإنماء لثمار الروح، لذلك يمكن أن نحصر مجال التدريبات في هذه الدائرة أي في ثمار الروح التسع التي ذكرها بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطيه: أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف."(غل٥:٢٢-٢٣). فتكون هذه الثمرات هي "الفضائل الأمهات" أو "الفضائل الجامعة" أو الأصول التي تتفرع منها التدريبات الفرعية.

وفيما يلي إيضاح أدق لهذه الفكرة:-

(١) المحبة:

فهي أولى ثمار الروح قد اكتسبناها بسكيب النعمة كما وضح بولس الرسول قائلا "إن **محبة الله قد انسكبت** في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا."(رو٥:٥). ويمكن تنميتها وإضرامها عن طريق الممارسة العملية، فالرسول نفسه يوضح إمكانية ازدياد المحبة بالتدريب على ذلك بقوله "ومحبة كل واحد منكم جميعا بعضكم لبعض **تزداد**"(٢تس١:٣).

ومن أمثلة تدريبات المحبة:

* تدريب الصلاة الدائمة: فالصلاة تلهب روح المحبة إذ هي وسيلة الاتصال بحبيب الروح. والمؤمن يلهب روح المحبة لله بدوام الانشغال به في الطريق والعمل والسفر وهذه الصلاة قد لا تكون كلاما بل ربما كانت اتجاها من القلب في حركة خفية لتعبر عن حب مكنون وتكشف عن أشواق قلب ملتهب.

* تدريب خدمة الناس: فإذ يمتلئ قلب المؤمن بمحبة الله يتثقل بأمر اخوته (اخبر باسمك أخوتي) ويندفع بعوامل الحب ليجتذبهم إلى الحبيب ليتشاركوا معه في المجد. وهذا الحب ينموا ويزداد بدوام الخدمة وربح النفوس.

* تدريب عدم الإدانة، عدم الانتقاد، عدم تحليل الشخصيات، عدم مسك السيرة، عدم الاشمئزاز من الغير ، عدم احتقار الغير..... الخ.

كل هذه تدريبات من شأنها تنمية وإشعال روح المحبة المنسكب في القلب.

(٢) الفـــرح:

الفرح هو ثمر من ثمار الروح (غل٥:٢٢) تزرع بذرتها بالنعمة في قلب المؤمن وبالممارسة والتدريب تزداد وتنمو فالرسول يوضح أن الفرح عمل بشرى أيضا فيضعه في صيغة الأمر قائلا: "افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضا افرحوا (أي انموا فيه)."(فى٤:٤).

ومن أمثلة تدريبات الفرح:

* تدريب الاتكال على المسيح في كل شئ وعدم الاهتمام بشيء مما يدعو إلى القلق وفقدان روح الفرح "لا تهتموا بشيء بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر.(في٤: ٦).

* تدريب عدم التفكير في المستقبل ومشاكله " لا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفى اليوم شره."(مت ٦:٣٤).

* تدريب عدم الاهتمام بالمأكل والمشرب والملبس "لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون."(مت٦:٢٥).

* تدريب التأمل في عظم صنيع الرب لك "رنموا (والترنيم علامة الفرح) للرب لأنه قد صنع مفتخرا."(أش ١٢:٥).

"والمرنم يقول باركي يا نفس الرب ولا تنسى كل حسناته. الذي يغفر جميع ذنوبك الذي يشفى كل أمراضك. الذي يفدى من الحفرة حياتك. الذي يكللك بالرحمة والرأفة. الذي يشبع بالخير عمرك فيتجدد مثل النسر شبابك."(مز١٠٣:١-٥).

* تدريب التطلع إلى شخص يسوع الموجود في وسط حياتك "اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا."(مت١:٢٣). "
اهتفي يا ساكنة صهيون لأن قدوس إسرائيل عظيم في وسطك."(أش١٢:٦).

* جذب النفوس للمسيح لتتوب وتقبل إلى الحياة. هذا العمل نفسه يفرح السماء "يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب."(لو١٥:٧).
ويفرح أيضا ملائكة الله "يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب"(لو١:١٠).

وهذا العمل أيضا يفرح جماعة المؤمنين فنقرأ في سفر أعمال الرسل أن بولس وبرنابا وآخرين "اجتازوا في فينيقية والسامرة يخبرونهم برجوع الأمم وكانوا يسببون سروراً عظيما لجميع الاخوة."(أع١٥:٣).
فإذ تجذب النفوس للتوبة تجد الفرح يغمر قلبك.

(٣) السلام:
تزرع بذاره أيضا بعمل الروح القدس، وينمو ويزداد في المؤمن بالممارسة في الحياة العملية.
ومن أمثلة تدريبات السلام:

* تداريب للتمتع بالسلام مع الله : تنفيذ إرادة الله وعمل مشيئته. فالعداوة بين الإنسان والله ناشئة عن فعل الإنسان للخطية ومخالفتة لمشيئته. وهذا التدريب يحتاج إلى مداومة وإخضاع النفس لمشيئة الله في كل شئ وتحطيم إرادة الذات.
* تداريب للتمتع بالسلام مع الناس: تجنب المجادلات والمباحثات الغبية "لأنها تولد خصومات – وليس سلاما"(٢تى٢:٢٣).
حتمية تصفية الأمور مع من تغتاظ منهم "لا تغرب الشمس على غيظكم."
(أف٤: ٢٦).
* تداريب للتمتع بالسلام مع النفس: التلذذ بكلمة الرب "سلامة جزيلة (أي سلام عظيم) لمحبي شريعتك."(مز١١٩:١٦٥).
* عدم الاهتمام برغبات الجسد وتنفيذ رغبات الروح "اهتمام الجسد هو موت ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام."(رو٨:٦).

(٤) طول الأناة:
وهو وإن كان من فعل الروح القدس فينا إلا إنه يظهر أمام الناس خلال تصرفاتنا التي يجب أن نراعيها في معاملتنا للغير، فبولس الرسول يقول: "تأنوا على الجميع"(١تس٥:١٤).
ومن تداريب طول الأناة:
* عدم الغضب بسرعة. "لا تسرع بروحك إلى الغضب" (جا٧:٩). "مبطئا في الغضب" (يع١:١٩).
* عدم التسرع في التكلم "مبطئا في التكلم" (يع١:١٩).
الإصغاء إلى المتحدث وعدم مقاطعته "ليكن كل إنسان مسرعا في الاستماع".(يع١:١٩).
وهناك أيضاً تدريبات أخرى مثل:
* عدم التذمر وحدة الطبع _ احتمال أخطاء الآخرين _ الصبر على احتمال المشقات.

(٥) اللطـف:

هو الترفق والإشفاق وهو ككل ثمار الروح يظهر ويزداد بالممارسة.

ومن أمثلة تدريب اللطف:

*الترفق بالخطاة ومعاملتهم بلطف لتربحهم فإن كان الله بلطفه "ينعم على غير الشاكرين والأشرار"(لو٦:٣٥). وأيضا "يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين"(مت٥:٤٥). وذلك لكي يقتادهم للتوبة فبولس الرسول يقول: هل تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتاد إلى التوبة؟"(رو٢:٤). ويقول أيضا "حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه ... خلصنا"(تى٣:٤). فحري بالخادم أن يترفق بنفوس المخدومين ليربحهم للمسيح.

*الترفق بالمبتدئين في الحياة مع الله: فلا نحملهم أثقالا منذ أول الطريق ولا نفترض فيهم الكمال الروحي ونعاملهم بالشدة على ما يبدر منهم من أخطاء. وما أجمل يوحنا الحبيب كمثل للطف في معاملته للمؤمنين الأحداث "يا أولادي اكتب إليكم هذا لكي لا تخطئوا وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار ..."(١يو٢:١).

*الترفق في معاملة أهل منزلك: يعيب الكثيرين أنهم يهتمون بمظهرهم أمام الناس خارج المنزل أما في بيوتهم فيستبيحون لأنفسهم كسر الوصايا. فلا يعاملون ذويهم باللطف ولا يسلكون بالكمال ولكن ما أروع قول داود النبي "أسلك في كمال قلبي في وسط بيتي"(مز١٠١:٢).

* الترفق بالناس عامة _ عدم التجريح _ عدم الانتهار أو الشخط - عدم المقاومة – البشاشة - والطيبة ... الخ.

(٦) الصـلاح:

هو الكرم والبذل فقد وضح ذلك بولس الرسول بقوله لتيموثاوس "اوصي الأغنياء ... أن يصنعوا صلاحا ... أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع" (١تى٦:١٧-١٨).

ومن تداريب الصـلاح:

*افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقاتهم. (يع١:٢٧).

*القيام بخدمة المحتاجين مثل طابيثا التي قال عنها الكتاب "هذه كانت ممتلئة أعمالا صالحة وإحسانات كانت تعملها." (أع٩:٣٦).

(٧) الإيمـان:

هذا الإيمان هو من ثمار الروح نراه قابلا للنمو كما يذكر بولس الرسول "لان إيمانكم ينمو كثيرا" (٢تس١:٣).

على أن بعض ترجمات الكتاب المقدس أوضحت أن المقصود من الكلمة الأصلية المترجمة "إيمان" هو "الأمانة" **Faithfulness** وليس **Faith**. فتكون الأمانة كثمرة من ثمار الروح فضيلة يتحلى بها المؤمن تظهر في حياته وتنمو بالممارسة العملية لها.

ومن أمثلة تدريب الأمانة:

*الأمانة في المواعيد، والكلام، والعمل، والعشور.

*والخدمة "مثل الوزنات : نعما أيها العبد الصالح والأمين، كنت أمينا في القليل فأقيمك على الكثير ادخل إلى فرح سيدك." (مت٢٥:٢١).

*والحياة الروحية: الصلوات _ قراءة الكتاب.

(٨) الوداعـة:

وهي في الأصل اليوناني "الحقارة" ويقصد بها هدوء النفس في معاملة الناس بناء على كونه "حقير في عيني نفسه" وقد جمع السيد المسيح بين نقطتي "التواضع" "والوداعة" بقوله "لأني وديع ومتواضع القلب"

(مت١١:٢٩) فالتواضع هو شعور الإنسان بحقارته أمام الله والوداعة شعوره بالحقارة أمام الناس. ويوضح بطرس الرسول ارتباط الوداعة بالهدوء في قوله : "الروح الوديع الهادئ." (١بط٣:٤).
على كل حال فالوداعة كثمرة من ثمار الروح قابلة للنمو بالممارسة والتدريب.

ومن أمثلة تدريب الوداعة:
*الهدوء أثناء المناقشات "مستعدين دائما لمجاوبة كل من يسألكم ... بوداعة" (١بط٣:١٥). *الهدوء في معالجة الأمور "أصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة" (غل٦:١).

* عدم مقابلة الإساءة بالإساءة "الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضا" (١بط٢:٢٣).
* "لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن حول له الآخر أيضا" (مت٥:٣٩).

* عدم الإصرار على حقوقنا "من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا" (مت٥:٤٠).

* عدم إغضاب أحد أو مضايقته أو احتقاره.

* الصوت المنخفض الهادئ _ الطاعة والخضوع ... إلخ.

(٩) التعفف:
ويقصد به "ضبط النفس" وهى وإن كانت ثمرة من ثمار الروح فهي تظهر وتنمو في حياة المؤمن بالممارسة أيضا فبولس الرسول يقول: أقمع جسدي واستعبده" (١كو٩:٢٧).

ومن أمثلة تدريب التعفف:
* ضبط الحواس : فإذا ضبطت أبواب المدينة سلمت من الأعداء، فالمؤمن في مسيس الحاجة لضبط حواسه.

* النظر : "عهدا قطعت لعيني ألا أتطلع في عذراء ..... " (أى٣١:١).
* الأكل : ضبط شهوة الطعام. وهكذا مع بقية الحواس.
* ضبط الفكر : فإذا ضبطت أبواب الفكر (أي الحواس) سهل ضبط الفكر نفسه وذلك بتدريب تركيزه في المسيح وشغله بالترانيم والألحان والتأملات .....

الخاتمة وموجز للكتاب

نستطيع أن نلخص موضوع هذا الكتاب [إتمام الخلاص]

في ثلاث آيات:
(١) الارتداد الروحي: "من يظن أنه قائم فلينظر أن لا يسقط" (١كو١٠: ١٢).
(٢) حتمية الجهاد الروحي: "جاهد جهاد الإيمان الحسن وامسك بالحياة الأبدية" (١تي٦: ١٢).
(٣) التدريبات الروحية: "روضْ نفسك للتقوى" (١تي٤: ٧).
والرب الذي بدأ فينا عملاً صالحاً هو الذي يكمل آمين.